الشاعر عبدالله باشراحيل

الموجز الجمالي لرسالته الشعرية والروحية

قراءات في تجارب شعرية عربية

عنوان الكتاب: الشاعر عبدالله باشراحيل
المؤلف: نعيم عبد مهلهل
التصنيف: قراءات في تجارب شعرية عربية
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ٢٠٢٥
مدير الدار: رياض داخل
التنسيق الداخلي و تصميم الغلاف: فلاح العيساوي

ISBN :978-9922-8365-2-2

دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع
العراق ـ بغداد ـ شارع المتنبي
هاتف: ٠٧٧٣٥٩٢٩٤٨٤ / ٠٧٨٧١٩٧٨٥٢٠
بريد إلكتروني: alrtyu44@gmail.com
رياض داخل: Facebook

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

نعيم عبد مهلهل

الشاعر عبدالله باشراحيل

الموجز الجمالي لرسالته الشعرية والروحية
قراءات في تجارب شعرية عربية

٢٠٢٥

المقدمة

متعة الحديث عن شاعر من أهل كندة

الكتابة عن شاعر يألفُ صباح المدينة الأكثر قدسيةً بين مدن العالم تبدو مهمةً شاقَّةً؛ لإدراكي أنَّ شعراء كهؤلاء يتعاملون مع ما يتوهَّج في أرواحهم قبل أن يتعاملوا مع العالم المحيط بهم، لهذا فهم كما أصحاب المعلقات، البوح والأناشيد والصدى الذي يقولون هو ترانيم الزمن ورؤيا ما علينا أن نراه قبل أن يُخمِّنهُ العرَّافون ويُصدِّره لنا الكهنة!

صديقي الدكتور عبدالله صالح باشراحيل هو ما ينطبق عليه رؤيا الكتابة؛ كونه ابن مكة، وشاعرَها، والرجل الذي يُمسك قناديل روحه ليُحوِّلها في لحظة الإلهام إلى ممرَّات طويلة تنتهي بسرمدية الصورة والتأليف والنظم إلى قلوب أهل المدينة الروحية، وقُرَّاءِ هذا الشعر في العالم.

إنه رجل يَعِي ما يريد أن يقوله ويفكر فيه، منحَتْهُ السماء موهبةً وجاهًا، وتلكما الرؤيتان في قلب الرجل كفيلة بجعل الإيمان سرَّه في الحياة، وكما في قول الغزالي: الإيمان المنظوم بفؤاد مؤمن يجعل الجنة متيسرة في قناعة أنها لنا من الآن.

عبدالله صالح باشراحيل سليل ذلك البيت الأصيل في وجاهة الحال والمال والثقافة، وهو الوريث المُضيء لتلك السلالة الوجدانية التي أسكنت الشوق والانتماء في روح مكة منذ بيوت الطين، وحتى هذا العمران الملكي الفاخر لمدينة أعزَّها البيت السعودي، وجعلَها دُرَّة وهيبةً وخشوعًا.

ومنهما بقِيَ آل باشراحيل يستقون غيثَ المهابة، ويكتبون لحياتهم منذ جدهم الأول وإلى أحفاد أبي صالح تواريخ تؤكد أنهم يمُدون عشقَ وصلٍ مع مكة.

هذا الشاعر الأنيق أمسك منذ نعومة أظافره طَرَف خيط بريق موهبته وهواجسه، ومشى على هَديها في ظاهرتين لا تتناقضان في السلوك، لكنهما مختلفتان في السعي (العلم، والشعر)؛ فالأول استحصل عليه من الكتب المدرسية والجامعية وما ورثه في مكتبة جده وأبيه عن أساطين العلم الذي يترقَّى بحلم الحضارات، فنال منه

أرقَى الشهادات، أما الثاني (الشعر) فاستحصله من موهبة قلبه، وما جادت به تأمُّلاتُ أجفانه وقريحتهِ منذ صباه وإلى اليوم ليحصد منه مجدَ سمو الشاعر في أكثرَ من عشر دواوين شعرية، وبينها من مقالات فقه الرؤيا في الحياة والأدب والعلم والمجتمع، كما نال الكثير من الأوسمة والجوائز وشهادات التقدير.

كانت سعادتي كبيرةً عندما عرفتُه لأول مرة، ومن خلال قصائده التي نصحني بقراءتها أحدُ الأصدقاء، وتفاجأت بأنني أمام رجلٍ يرى الكونَ من خلال ثقب صغير في جدار الحلم الذي شيَّدَتْه قوافي القصيد، وإحساس الرجل عبر حياةٍ جاوزت الستين، ولكنها حياةٌ عامرةٌ بمُنجَز وحضور وإيمان.

قرأتُ عبدالله باشراحيل وكأني أقرأ لحفيدٍ تركه لنا شاعر كندة ومليكها امرؤ القيس ليقول لنا: أورثتُ لكندة في عولمتها من يُشعرني بمهابة ما كنتُ أقوله.

الفرق بينهما (امرئ القيس، وعبدالله باشراحيل) أن الأول جزيلٌ وبليغ وطالب مُلك ظليل، والثاني ثري في التنوُّع والابتكار وسياحة الروح في أرجاء متعددة في أمكنة التثقُّف والتحضُّر من مكة حتى أوربا. ومن مكة

حتى أقصى جبال الأطلس والأورال وقاسيون وصعيد مصر وجنائن بابل المعلَّقة.

لهذا ستشعر وأنت تمضي مع سيرة الشاعر عبدالله باشراحيل أنَّ كلَّ الذين وصلَتْ إليهم كتبه من ملوك ورؤساء ووزراء ورجال علم وفكر مهداة أو غيرها فإنهم حرصوا ليشكروه تحريرًا في رسائل ديوانية وشرفية، وممهورة بإمضائهم شخصيًّا، وأظنُّ أن الرسالة الشهيرة التي كتبها الرئيس الجزائري بوتفليقة إلى الدكتور الشاعر عبدالله محمد باشراحيل خير دليل، وقد درستها أنا من جوانبها الأدبية والمعنوية، وكانت في مغزاها ودلالة تأثير الشاعر في قارئه واحدةً من فصول كتابي عن أدب الشاعر عبدالله باشراحيل والموسوم (عبدالله باشراحيل.. صناعة وردة الشعر من عطر مكة) والصادر ضمن مشروع النشر المشترك بين دار نينوى للطباعة والنشر في دمشق ودار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع في بغداد ٢٠١٢.

وأعتقد أن هذا الاحتفاء بشاعر سعودي بين عاصمتين عريقتين: بغداد ودمشق -هو ما يحدث لأول مرةٍ لشاعرٍ سعودي، وهما تضيئان له منارتي علم قناديل الاحتفاء، وتطلب عدة مكتبات جامعية في بغداد نُسخًا من الكتاب

بعد أن أدركت في مغزى رسالة الرئيس بوتفليقه أنه أمام الحفيد الشرعي لامرئ القيس.

أعتقد أني شَرُفت أن أكتب عن رجل بمثل قامته العالية، وأتذكر أن فصول كتابي عن الشاعر باشراحيل قد دونتها في مكان سحري في مهجري الألماني في قلعة من العهد الأسطوري للعصور الوسطى واسمها (شلوس بورك) القريبة من مدينة دوسلدورف، وكنت أستمتع بجعل المكان مزيجًا بين صدى أشجار الغابات وموسيقى الينابيع وتلك الرومانسية والأجواء وصدى العبارة المتعددة الأغراض في قصيدة باشراحيل.

حتى إن أحد الألمان انتبه إلى جلستي اليومية على رابية الجبل؛ حيث أريكة من خشب عمرها مئات السنين ليسألني: هل تكتب عن شاعر ألماني أو واحد من روائييها: توماس مان مثلا؟!

قلت: كلا، أكتب عن شاعر مكي.

قال: مكة التي تشبهه الفاتيكان؟!

قلت: كلا، مكة لا تشبه الفاتيكان؛ لأن مكة مدينة سماوية، والفاتيكان مدينة أرضية!

تعجَّب وسألني: وكيف؟

قلت: لأن مكة مَهْبِط وحْي إبراهيم وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم، أما الفاتيكان فلم تكن مَهْبِطًا لأحد من الأنبياء.

قال: نعم، بهذا غلبتني، ولكن هل تعرف أن هذه الأريكة يقال: إن (غوته) جلس عليها لنهار كامل في طريقه من فرانكفورت إلى دوسلدورف، وأظنُّ أنه هنا كتب بعضًا من مقاطع قصائد ديوانه الشرقي الذي أهداه حُبًّا لنبيكم محمد، وتشاء الصُّدف لتأتي أنت لتكتب عن شاعر وُلد في المدينة المقدسة مكة، ولكن بعد مئات الأعوام من عصر شاعر ألمانيا العظيم (غوته).

استفدت من تلك المصادفة العجيبة، وتحدثت فيها أمامَ الألمان في محاضرةٍ أدبية في مكتبة مدينة زولنغن الألمانية يومَ صدَرَ كتابي عن الدكتور عبدالله باشراحيل (عبدالله باشراحيل.. صناعة وردة الشعر من عطر مكة) التي كانت تحتفي مع كل إصدار جديد لي.

عندي الكثير من أجل هذا الشاعر لو حولته من آنية الوجدان الذي أملكه إلى نافذة الكلمات لصار عدة أطاريح جامعية، فهو شاعرُ وعْيٍ وفكرٍ، ويمتلك إيقاعًا موسيقيًّا في تدفُّق عبارته وكأنه يسطر لنا نبض قلبه على

شكل أناشيد مرئية ومسموعة وكبيرة وعميقة في المعنى والأغراض على مستوى البَوْح والأداء الإنساني.

الفصل الأول
باشراحيل وآخر منجزات الشاعر

عن دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع في دمشق صدر كتاب نقدي وجمالي عن آخر إصدارات الشاعر السعودي الكبير الدكتور عبدالله باشراحيل، وبعنوان (الدكتور عبدالله باشراحيل في ديوانه "قرابين الوداع" إضاءات جمالية في الشعر السعودي) والصادر عن دار كتابي للتوزيع والنشر بالقاهرة، والكتاب هو الثاني للمؤلف الذي درس فيه العوالم الشعرية لذات الشاعر، وقد صدر قبل سنوات عن دار نينوى، وكان بعنوان (الدكتور عبدالله باشراحيل.. وردة الشعر في عطر مكة).

والكتاب الجديد قراءة في آخر إنجازات عبدالله باشراحيل هو الحلقة الثانية ضمن مشروع المؤلف في إنجاز رؤى جمالية تخصُّ كامل تجربة الشاعر، ودَوره الكبير في دفع المشهد الشعري إلى الواجهة الحضارية

لثقافة بلاده ومنجزها الإبداعي ضمن حشد كبير من أدباء المملكة في جميع الفنون والمذاهب الإبداعية.

وشخصية المحتفى فيه داخل الكتابين هو شاعرٌ ومفكرٌ ورجلُ أعمالٍ وشخصيةٌ مجتمعيةٌ وثقافية فاعلة في المملكة ومدينة مكة المكرمة، وهو مؤسس جائزة باشراحيل للإبداع الثقافي، وكاتب غزير الإنتاج الشعري والثقافي؛ إذ ألَّف نحو ٢٥ ديوانًا شعريًّا، و٨ مؤلفات نثرية أخرى في المعارف الفكرية والثقافية والفلسفية والاجتماعية، لتشعر وأنت تطالع فصول الكتاب قبل أن تتعمق في رؤيتها أن هذا الشاعر يحاول أن يُريَك نفسًا ملحميًّا وإنسانيًّا كونيًّا من خلال تعدُّد العناوين والأغراض الشعرية التي حملها كتابه الشعري الجديد (قرابين الوداع)، والذي حاولت أن أجد فيه العديد من النوافذ التي تطلُّ من خلالها تلك المباهج الروحية التي يراها المؤلف أنها تُمثِّلُ لغةً شعريةً متميزةً، وأن شاعرها (باشراحيل) اتسعت في ذاكرته موهبةُ قراءة الأشياء التي تحتوي عالمه في وطنه ومدينته وبيته، ومن ثَمَّ العالم الواسع.

كتب المؤلف كتابه من هاجسٍ كَتَبَه مرةً في رأيه عن الشاعر السعودي باشراحيل أنه قرأ الكثير من نتاج

الشاعر، واكتشف غرائبية التنوُّع في أعماله، وجميعها ترتبط بهاجس روحي تهيمن عليه موهبةٌ شعريةٌ ومتمكنةٌ من أدواتها، ويبدو أنه شاعر إحساس، ويستطيع أن يحول عاطفته وقدرته في تناول ما يشعر به إلى عناوين تتراوح بين المكان وبيئته وذكرياته وبين المجسات الأخرى التي يحاول أن يجعلها مادة لإنسانية الشعر وتواصله مع الحياة. لهذا هو يصرُّ على أنه شاعر كوني، ومن يقرأْ آخر دواوينه (قرابين الوداع) يكتشفْ أنَّ الكون عنده يبدأ من جفن والدته وحتى مجرات النجوم وأصقاع الأرض!

ومن يقرأ الكتاب من أول فصوله سيكتشف أن عالمًا رحيبًا من سياحة البوح والمدائح للحياة بكل مشاغلها المجتمعية والروحية والإيمانية وجمالية الصور وبلاغة الجمل هو كل عالم الشاعر السعودي عبدالله باشراحيل.

تقرأ الكتاب لتشعر أنَّ الكاتب والشاعر في متلازمة فهم مسبق في أن الرؤية التي يضعها مهلهل عن شاعره باشراحيل هي رؤية فهم واضح لعوالم (قرابين الوداع)، ولهذا جعله نقدًا جماليًّا من ثمانية فصول هي كالتالي:

الفصل الأول: قرابين الوداع (أنموذج الحياة ومحطاتها في عالم عبدالله باشراحيل).

والفصل الثاني: (الشاعرُ يقدِّم نفسه).

والفصل الثالث: (الهاجِس الإنساني هو عولمة الشعر).

والفصل الرابع: (الشاعر عبدالله باشراحيل ضوء العالمية في عطر ديوانه الجديد).

والفصل الخامس: (قرابين الوداع وقرابين الحب رسالة الشاعر في أزليته).

والفصل السادس: (دلالة الحكمة بين كتابي "قرابين الوداع"، و"صدى العصر").

والفصل السابع: (عاطفة الروح ببراءة الغَزَل العفيف (ديوان قرابين الروح حديقتها).

والفصل الثامن: (قرابين الودَاع استعادةٌ أخرَى لوجه الأب).

والفصل التاسع: (الشعر في إضاءاته الروحية والجمالية).

والفصل العاشر: (ديوان قرابين الوداع - اللغة والرؤية والإيمان والفلسفة والرثاء).

ومن يقرا الكتاب سيكتشف طبيعة كل فصل؛ فقد حرص المؤلف على أن يتعامل مع قصائد ديواني (قرابين الوداع) بتبويب يراه قادرًا على وضع التجربة الإبداعية للشاعر أمام القارئ الذي سيكتشف أنه أمام شعرية

تحترف التعبير عن ذاتها، وعن الذي يدور حولها في هذا العالم، وينظر إليه مهلهل أن عالم باشراحيل هو عالم الحياة المفتوحة أمامنا، وحتى نفهمها علينا أن نجعلها خاضعةً لمحاورات الروح وبعض تلك المحاورات هو الشعر، ويفسر المؤلف نجاح الشاعر في إتقان هذه المحاورة والتعبير عنها في كل هذا المنجز الكبير لأكثر من أربعين عامًا، بقوله في الفصل الأول عن الحياة ومحطاتها في تجربة الشاعر وحياته قوله: ((هنا ستشعر في قراءتك لنصوص باشراحيل أن الحياة هي أولًا الإحساس العميق والرؤى التي تجعلنا نُحوِّلها إلى أطيافٍ وسُدُم لا نهاية لها، وهذا كما في معنى النص (الحس السديمي) أنها فعل الغيب الذي يراودنا في أزمنة وأمكنة هذه الحياة، وفلسفة باشراحيل تتعامل معه كسديم في اللامنتهى الذي لا تقف حدوده عند رؤية معيَّنة، فالحياة تُعاش كما في رؤية الشاعر كي نفهمها قبل أن تفهمنا، حتى نستطيع أن نعيشها بمتعة مَن يرى ويسمع ويفكر ويعيش مشاعر الغيب، كي تأتي موهبته لتشيد معابد القصيدة في حياة نأخذها في قصيدنا إلى أبعدَ ما يمكنُ أن نتجاوزَه في أفق نظراتنا، وهو ما يؤشر إليه الشاعر

عبدالله باشراحيل، ويسعى لتأسيسه في تراثه الشعري كله)).

هذا التجانس الجمالي مع عوالم الشعر يتعامل معه المؤلف بانتباه إلى كل ما يمكن أن تمنحه لنا تجربة الشاعر من فسحة لمعرفة سحر الكلمة وتأثيرها الروحي والمجتمعي والفلسفي في الحياة.

الفصل الأول من الكتاب يتحدَّث عن الحياة وفق منظور الشاعر وفلسفته في الحياة، وكان كتاب الشعر (قرابين الوداع) في تنوُّع عناوينه يشكل محطاتٍ حياتيةً استطاع فيها الشاعرُ أن يلعبَ دَور المسافر في قطار الحياة ليُعبِّرَ عن كل ما يراه ويشاهدُه ويتعايشُ معه أو يحسُّه، وهو ما شعرت معه برؤية بصرية وحسية لأقرأ باطن الحس الإنساني الذي عكسته قصائد الديوان في جميع مقاصدها ومعانيها، وكانت الرؤية تتوازن مع إيمان المؤلف بأن شاعره يستطيع أن ينتج لنا في كل مكان في كتابه إحساسًا جديدًا يبدأ من ذكريات طفولته ومناخات البيت ودروس العلم الأولى وانتهاءً برحلات إلى العالم المتسع مُدنًا وقراءة للشعر أو محاضرة أو طلبًا للعلم، وكأنك أمام سندباد لقصيدة تبحر بعالم رجل يرى الأشياء من خلال موسيقى الكلمات وقلبه، فيؤطرها في قالب

القصيدة، وهو ما ذهبت إليه رؤى النقد التي درسها مؤلف الكتاب، وكان الفصل الأول تعريفًا روحيًّا عن قدرة الشاعر على أن يريد ما أنتجته حياته من ثمار وقدرة طيبة على التحدي وبناء الحياة الروحية والمهنية والأدبية والاجتماعية.

الفصل الثاني
(الشاعر يقدم نفسه بمرايا القصيدة)

في الفصل الثاني الذي عنوانه (الشاعر يقدم نفسه) من كتاب (الدكتور عبدالله باشراحيل في ديوانه قرابين الوداع.. إضاءات جمالية في الشعر السعودي) تقريبٌ افتراضيٌّ يحاول فيه المؤلف أن يجعل من قصائد الشاعر مرايا تعكس ذاته التي نراها في تلك التكوينات النصية من عناوين الكتاب، وكل قصيدة فيه تهمس لنا بعضًا من رؤية معرفية للشاعر وتراثه الذي يجدده كل يوم صورة تسكنه ويجددها مع كل صباح بمشهد أو إحساس أو غرض شعري يتحدث فيه من خلال نفسه عن الحياة التي يحاور معها محطاتها ومستجداتها وأشياءها وبشرها، فهو يقدم لنا قصيدته ويقول لنا إنه يقدم نفسه، فالشاعر نفسه في إبداعه، والتجديد في الإبداع هو احترافٌ ذهنيٌّ وفكري وإنساني تهيمن عليه فكرة الوجود الذي يصدره إلينا باشراحيل بعناوينَ يكمن بريقها أولًا في صدى أجراس

الكلمات وهي تحمل معانيها الجميلة والمؤثرة والتي تشعر فيها أن الشاعر يرينا نبض قلبه قبل أن يسمعنا إياه!!

ومهلهل يحاول أن يقرأ خبايا وملهمات روح الشاعر من خلال مزج ملامح الشاعر ونظراته التي يسكنها الهدوء والثقة ودفء عاطفة التفكير بالعالم والأشياء الجميلة ويمزج تلك الملامح بسيْلٍ يتدفَّق من عناوين نصوص (قرابين الوداع)، فتسكنه (المؤلف) شهية معرفة ينابيع وكوامن الإحساس فيقول في هذا الفصل عن مدى رغبة الشاعر أن يقدم نفسه شعرًا:

((تكتشف وأنت تقرأ تعريف الشاعر بنفسه أنه إنما يتحدث عن رضاه لما أبدعت وقدمت نفسه هو، ولكن ليس بصيغة المغترِّ؛ إنما تواضع الإحساس يكشف عن كوامن أخلاقيَّة وإبداعيَّة وروحيَّة تسير هذه الذات لتعبِّر عن نفسها، وعلى القارئ أن يذهبَ بعد ذلك ليُقارن بين الأحاسيس الطيبة في القلائد الشعرية التي زيَّنت هذا الديوان (قرابين الوداع) وبين التعريف المُنمَّق باللغة وسهولة إيداع الحب لدى المسامع وهو يقول لقارئه ومن دون مباشرة: (من أنا؟).

من رؤية هذا الفصل ستكتشف معدن الشاعر والتكوين الثقافي والإبداعي الذي صنع تجربة غنية

ومـؤثرة لرجـل عصـامي ويعـرف أن موهبتـه تنـتج ثمـرًا لشجرة الانتماء الذي طالما أعاده إلى ثقافة الأب ومكتبة البيـت وتجـارب الحيـاة، لهـذا ينجح المؤلـف في وضـع عنـوان للفصـل الثاني بتقـديم الشـاعر لنفسـه، ولكـن لـيس عبـر سـيرة ذاتيـة وتعريـف مـوجز؛ بـل مـن خـلال عنـاوين لعشـرات القصـائد التـي تـذهب بأشـرعة سـندبادها فـي محيطات وبحار الحياة. وكل هذه العناوين يعتقد المؤلف أنَّ الشـاعر قـدَّم لنـا سـيرته وطبيعـة المعـاش فـي حياتـه الاجتماعيـة والمهنيـة والإبداعيـة، لهـذا فـي أغلـب هـذا الفصـل كـان المؤلـف يضـع تعريفًـا للشـاعر مـن خـلال مـا يقدمه عـن نفسـه مـن وجهـة نظـره ورؤيتـه لصـاحب ديـوان (قرابين الوداع)، وتشعر من خلال هذا التقديم أنَّ مؤلف الكتاب يعرف الشاعر جيدًا، ويتتبع بتأمُّل ودقة وإعجاب كل محطات التجربة الشعرية والفكرية لشاعره.

إنه يعرفه ليس فقط من خلال ما قرأه له، بل من خلال نقاشات ومحاورات وتبادل رسائل استمرت لأعوام، وهـو يلمـح لـذلك فـي هـذا الفصـل عـن تلـك المعرفـة القديمـة ويقول:

((أعـرف الشـاعر عبـدالله باشـراحيل جيـدًا، لهـذا أقـرأ شخصـيته جيـدًا مـن خـلال طرحـه لنفسـه بـدلالات اللغـة

المُعبِّرة، والتي يعتمدها كما يفعل الفنان في رسم اللوحة، فيرسم لنا الشاعر نفسه من خلال طبيعته وتطبُّعه، وما تعلَّمه وعلَّمه، وما أنتجه عبر تراث جمالي شعرًا ونثرًا، ابتداءً من ديوان (معذبتي) - القاهرة ١٩٧٨، وانتهاءً بـ(قرابين الوداع) - القاهرة ٢٠٢٤. فهي إذن سبعة وعشرون ديوانًا شعريًّا، فيما اشتغل في الجانب الفكري والنقدي بدءًا من كتابه (أصداء الصمت) - بيروت ٢٠٠٠، وانتهاءً بكتابه (صدى العصر) - القاهرة ٢٠٠٤)).

هذه المعرفة هي من منحت المؤلف القدرة ليقدم الشاعر، ويرتدي بعضًا من ذاكرته ليتحدث نيابةً عنه، وربما أراد مهلهل بفصله هذا أن يُرِي القارئ الذي يطلع على أدب وشعر باشراحيل لأول مرة أنه يقرأ لشاعر غني التجربة والثقافة والتنوع، وهو من الشعراء الذين يعرفون تمامًا قدر أنفسهم، والدليل هذا النتاجُ الثريُّ والمتنوعُ والرَّصينُ لعشرات العناوين من دواوين الشعر وكتب الفكر والمحاورات.

«فلَمْ يَنسَ في أيَّة لحظةٍ حمدَه الله لِمَا وهَبَه من مالٍ وجاهٍ وعُلوٍّ ومكانةٍ في العالَمِين، فقد كانَ مُقدَّرًا ومُكرَّمًا من أصحاب القَدْر العِلمِيّ والأَدَبِي والثقَافِي في غَيرِ حاجةٍ إلَّا للهِ، بل كانَ واهبًا لا موهوبًا لمالٍ أو جاهٍ أو

مَنصبٍ، ولكنه حَفِيٌّ بأَهْلِه وقَومِهِ وإنسانِ الحياةِ، يَسعَدُ بصَغيرِهِم وكَبيرِهِم وغَنِيِّهِم وفَقِيرِهِم علَى قَدْرٍ سَواء، يَكرَه الكِبْر والغُرورَ والفَسادَ، وكانَ مَفطُورًا علَى الصِّدْقِ والعَمَلِ علَى مُواسَاةِ المَحزُونِين والمَحرُومِينَ والوُقوفِ معَهُم بالسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ».

تلك هي مختصرات التعريف للشاعر عن نفسه، وستكتشف أنها نفس توَّاقَة للتواصُل والإبداع والحضور، تلك النفس الواعية والمُدركة لقَدْر ما تمتلك من موهبةٍ وحضورٍ وضعَها الشاعر أمام قارئ كتابِه لتُفصح عن خلائق ما لروحها من خلق وإبداع يتجدَّد بلغة العصر، وحداثة الأدب لغةً وتصويرًا ومعنًى، وكأنه يُنير للآخرين شمسَه ليكون الضوءُ جنَّة لقصائده التي يكتبها إليهم مع كل ضياء صباح مُشمِس من أصباح مكَّة التي وُلد بها، ويعتزُّ بكل ذرَّة من ترابها الطاهر، شمس مكة التي يُنادِمُها بحَنين كل تواريخ حياته:

أعتقد وأنا أكمل قراءة هذا الفصل أنه كان فصلًا أراد فيه المؤلف أن يُرِيَنا العميق في روح وأعماق الشاعر، وقد تحدث عنه كمعجبٍ بنتاجه وظاهرته الأدبية، وكنجم أدبي وشعري في بلاده، وهذا النجم ذهب بضوئه إلى أمكنة أخرى في هذا العالم، ومتى قرأت ما أوجزته عن

الشاعر تستطيع أن تكتشفَ أنَّ الناقد عندما يكون بديلًا للشاعر ليعرف عنه فهو يعني أنه يعرفه تمامًا!

تلك المعرفة هي من صنعت الرؤى التي لونتها دهشة الحديث الحميمي في هذا الفصل، فكانت القراءة هي قراءة عن الذات والشخصية، ومدى علاقتها بكل هذا النتاج الثري الذي حاول فيه باشراحيل أن يصنعَ لذاته خصوصيةً وتجربةً وذاتًا محكومة بإبداع متغير ومتنوع وجميل. إلى الحد الذي أشعر بعض قُرَّاء تجربته أنه بسبب تنوع هذا النتاج صار طموح العالمية لديه جزءًا من رغبة الاقتدار والاستحقاق الذي ينبغي أن نمحنه له قبل أن يطالب به هو، بالرغم من أن رغبته لينالَ ما يشعر به قد نوه إليه بخواطر يكتبها لسيرته الذاتية والأدبية في مقدمة ديوان (قرابين الوداع) عندما يقول:

«كلُّ تِلكَ الخَلائِقِ مجسَّدَةٌ في شِعْر عبدالله باشراحيل ونَثْرِه، ويَشْهَدُ لَه بهَا الذِينَ عَرَفوهُ عَنْ قُرْبٍ، والذِينَ قَرَؤُوا تُرَاثَه باللُّغةِ العَربيَّةِ، أوْ مِنْ خِلالِ تَرجَمَةِ آدَابِه إِلَى اللُّغاتِ الأجنَبِيَّة مِن رُوَّادِ الفِكْرِ والثَّقافَةِ والعِلْم من المُلوكِ والرُّؤساءِ مِنْ عَربٍ وأُوربيّينَ ومُختلف الجنسيات العالميَّة».

تنقلتُ بين حدائق قصائد الديوان التي أعتبرها قرابين للقاء وليس الوداع، وربما هو مع الكثيرين من يعتبر أن شعرية الكتاب تتنوَّع فيها الأساليب والرُّؤى والجماليات في الصورة والبلاغة والحس والفكرة أيضًا، وكل هذا الجمع في تناول اشتغال باشراحيل يعطيك رؤيةً واضحةً أنك أمام تجربة إنسانية وكونية تحاول أن تجد لها ثباتًا حقيقيًا بين منجز الكبار، وقد نجح في أن يكون احترافيًا من خلال مهارة التناول في شتى أساليب الشعر وأغراضه، فهو يكتب في الحب، وفي أحلام البشر، وفي الفخر، والوصف، ولديه الشعر برؤيته الحياتية والفلسفية والإيمانية وأغراض أخرى، وهذا التناول الذي تتعدَّد منابعه وجهاته هو نتاج من موهبة الرجل الذي تشعر أنه يكتب قصيدته متى تريد روحه وتهبط على أجفانه آلهة الشعر ونبع الإلهام، فتأتي القصيدة منسابةً محكمةً وبليغةً لتشعرك بموهبة صاحبها وثقافته!

ثقافة المكان (مكة والوطن والبيت ومحطات السفر والارتحال، فتكون منصات إلقاء الشعر نزهته وفي منتديات عالمية كثيرة، وهذا يحتاج إلى رؤيا منفصلة نتحدث فيها عن نبض الرحلة والسفر في قلب الشاعر عبدالله باشراحيل) حيث مثَّل السفرُ في قلب الرجل

إرهاصات ما يشعر، والترحال عنده مسافة الوصول إلى ما ظلَّ يعتقدُه أن المدن التي تكتشف الشعراء الحقيقيين هي مدن لا تُضاء إلا بنور قصائدهم والشموس التي تحلم بأصباح عطر قادمة من مدن مقدسة أخرى، وما دام الشاعر باشراحيل آتيًا من أشرف المدن فإن منصات الإلقاء كانت تصغي له جيدًا.. هذا الإلقاء الذي ترتطم في بحر أمواج حنجرته كلماتُ الشعر هو ما جعل المُدُنَ على اختلاف تضاريسها تستقبلُ الشاعرَ بأحضانٍ دافئةٍ يدركُ من خلالها أنَّ نعمة السماء عندما تكون قصيدةً فإنَّ التسبيح في بهجة الكتابة والإلقاء والنظم والتأليف هو موهبةٌ ربانيةٌ جعلت لباشراحيل مكانًا جيدًا في خارطة الأدب السعودي والعربي والعالمي!

هذا الشاعر الذي كان السفر مدونةً لخواطر عينيه عبر نور القصيدة، هو لا يشبه في رؤية الترحال لديه رؤية ابن بطوطة؛ ذلك لأن ابن بطوطة ترك حبل ناقته لتمشي وتدخل المدن بذاكرة العيون، ومتى عاد إلى طنجة سيكتب ما رآه، لكن باشراحيل في ترحاله يكون قد هيئ صورة المدينة التي يرحل إليها من خلال قصيدته وعواطفه ونداءات قلبه، فتتخيل أن الشاعر يعرف المدن ويرتحل إليها من خلال قلبه وقصيدته وصدى موسيقى

جرس الكلمات في حنجرته يعيد لمن يصغون للشاعر وهو يودع عندهم مشاهد البوح والحنين وأفراح المضامين التي كان يختار لها عناوينَ من بيئته وتجربته وموهبته.

إنه شاعر من طراز عليك أن تدرك أن جماليات الكلمة لديه هي ترحال ممتع لسياحة القراءة وإمتاع الشعر.

لهذا فإن في (قرابين الوداع) وفي فصل ثالث كتبته في ذروة نشوة القراءة حديثًا شيقًا عن عالم الرجل المسكون بليل مكة وعوالمه الروحية والوجدانية التي أدركت فيها أن السياق الجمالي في عالم هذا الشاعر هو أجمل ما يمكن أن نقرأ فيه أشعاره ومنجزه ورؤياه، فكان عنوان الفصل (الهاجِس الإنساني هو عولمة الشعر).

هذا الهاجس شكَّل مساحةً واسعةً من إنسانية الرجل ومحاولته في اكتشاف العالم والتعلُّم منه، حمل بساطته والبوح اللذيذ في أجفانه وما تعلمه من الحياة والمدارس وعالم الأعمال والقراءة المتسعة الثقافات ليكتب عبْر مدى متسع من الإلهام والرُّؤى التي أسهمت في أن تكون مادة إلهام في إنتاج هذا الكم الكبير من عناوين دهشة الشاعر وقناعته أن من توحي إليه بالكلمة إنما هي رسالته المعفرة بطيب إنسانية وحلم وغايات يعتقد أن الوصول

إليها يصنع منه شخصية اجتماعية وأدبية معروفة ومتميزة، وهو ما حصل فعلًا.

فمع كل كتاب شعر أو فكر جديد تكتشف أن روح عبدالله باشراحيل لا تهدأ في رغبتها بصنع الجمال واكتشافاته، فكانت قراءتي لهذا الهاجس وإنسانيته هي قراءة لعطاء شاعر أراد أن يرينا في التنوع والترحال أن الشِّعْر لديه هو عولمة تمضي إلى كل تضاريس الأرض تُبشِّر بسحر الكلمة وجمالها وطبيعتها التي ترى في الحب رسالةً نبيلةً وجميلةً!

ولهذا تشعر بأنك حين تقرؤه فإن السياقات الجمالية فيما يتناوله الشاعر تتصاعد من أول قافية الكلام، ثم تنتهي لتشعر أن القصيدة هي محاولة لجعْل الإنسان أداةً لتطوير تفكيرنا نحو التأثُّر بالجمال، وجعْله عولمةً للوجود المتناثر حول الشاعر، ومنه يستقي مادته الأدبية، وهو شيءٌ من مشاهداته وتجاربه وعاطفة إحساسه وتقبله وتأثره ورفضه وكل هواجس تسكنه، وأعرف من رؤية الكتابة لهذا الفصل -وأنا أدرس جوانبَ من تفاصيلِ الحياة الأدبية لباشراحيل- أني أصل إلى قناعة أنه يحاول أن يؤسِّس لما يعتقده عالَمًا من الفضائل الروحية والاجتماعية أرادها لتكون منهجًا حياتيًّا لمسيرته، وهو لا

ينكر فضل الأب في صناعة هذا المنهج وفضل الأم والبيت والمدرسة ومجتمع مدينته المقدسة التي هي عنده: العقل، والعِفَّة، والسخاء، والشجاعة، وهذه تكاد تكون هي أصولَ الفضائل التي ينبغي للبشر أن يتكاملوا عند معانيها فعلًا وقولًا.

وعلى عموم ما نقرؤه في نتاج الشاعر عبدالله باشراحيل في جانبه الإنساني فإننا مع كل هاجس من روحانيات ذات الشاعر وهي تُرينا جانبًا مهمًّا من جوانبِ حياته عندما يجعل الشِّعْر هو صلة الوصل مع العالم، وإنما هو الجسرُ الذي يربط نبْضَ قلبه بنبض العالم عبْر قدرتين لا يصنعهما سوى تمازج الفعل الروحي والمادي وهما: الصلة، والتواصل.

فأسمعُ منه في أكثر من مقامٍ ومجلسٍ وحوارٍ منشورٍ ما معناه: أن الشعر بدون إنسانيته أكوام حجر! وهذا يتجلَّى حين تُحصي عناوين المد الإنساني في عالم عبدالله باشراحيل فإنك تجد اليد التي تعطي، وفي نفس الوقت تكتب قصيدتها من خلال متلازمتين هما: القول والفعل، ومن يقرأ أسفاره سيكتشف أن غاية باشراحيل هو التأكيد لنا أن الشاعر والمثقف والمؤمن والوطني عليه أن يحملَ رسالةً في الحياة تُعبِّر عن موقفه، وهو هنا

رسالته واضحة وتعبّر عن مكنونه، ولكنها مصوغة بلغة إبداعية وفكرية ورصينة وهاجسها عولمة تتعدد فيها الأغراض والأحاسيس والمدارك، وكل هذا يختصره الشاعر عبدالله باشراحيل في رؤية واضحة وعميقة في واحدة من مدوناته الفكرية عندما يقول موجهًا كلامه إلى الآخرين وبلغة المحبة والنصيحة والوعي وبلغة نثرية بالغة الجمال:

((فَلْتَقْفِلُوا أَبْوَابَ السَّوَادِ، ولْتَفْتَحُوا نَوافِذَ لَحَظاتٍ تَسْبَحُ بِالغَيْمِ عَلَى رَبِيعِ الأَمَلِ، تُمْطِرُ بِالمون عَلَى قُلُوبِكُمْ. انْفُضُوا ثِيَابَكُمْ مِنْ أَدْرَانِ الْحُزْنِ، وَغَالِبُوا النَّفْسَ عَلَى حَمْلِ البَهْجَةِ والسُّرُورِ، أَوْقِدُوا الشُّمُوعَ الضَّاحِكَةَ فِي شِتَاءِ أَعْمَارِكُمْ. احْتَفِلُوا مَعَ العَصَافِيرِ بِأَعْيَادِ العِشْقِ، وَانْثُرُوا الأَيَّامَ أَزْهَارًا عَلَى جَدَائِلِ الزَّمَانِ)).

هذه عولمة من تهذيب روحي لا تعكس ثقافة الشاعر في شعره فقط؛ بل في نثره ومقالته، وهي تحمل جوانبَ تتعدد فيها الأغراض والأهداف في التعامل الإنساني عبر نتاج غزير وتراث أدبي ابتدأه شاعرًا يحمل أحلامه وخجله في طرقات الورق، ثم أصبح اليوم صوتًا عاليًا وشاعرًا معروفًا تصدُر له كتب ودواوين ويحضر منتديات ومنصات شعرية في العالم المتسع، لهذا تقف إنسانيته

وعولمتها جنبًا إلى جنب مع صوت الشاعر وهو يلقي أناشيد روحه المغلفة بصدى الجملة المؤثرة ذات الجرس والإيقاع والأثر الجميل.

الفصل الثالث

إنسانية ما يكتبه الشاعر

كان الفصل الثالث (الهاجِس الإنساني هو عولمة الشعر) هذا الكتاب درست فيه مضامين النص الإنساني لدى الشاعر الدكتور عبدالله باشراحيل، وتناولت جمالية البوح في إنسانية قصائده، وأنا أعرف جيدًا أنني أقرأ لشاعر ثقَّف نفسه جيدًا ليضيء بلمعان نجمة الشعر في سماء روحه!

في هذا الفصل أضفت لمعرفتي عن الشاعر هواجس أخرى، حاولت فيها أن أُقرِّبَ تلك التجربة الثرية إلى القارئ؛ ليفهمَ عالمًا جيدًا على ذائقه، وليكتشف شاعرًا يأتي من بطون مكة ليكتب بغزارة وقوة تلك الأناشيد التي يتلقفها صدى جبال المدينة وبطون وديانها، ولتكن هذا الأناشيد مسارًا لقافلة الشاعر التي تحمل بضاعته الروحية والشعرية والفكرية إلى منابرَ شتَّى.

إنه -كما أشعْرُ به- يرسم عولمة ظله من خلال ما ينشده ويكتبه ويلقيه، ومتى قرأت ما كتب عنه من رسائل ماجستير ودكتوراه أيقنت أن المسارات الإبداعية للشاعر عبدالله باشراحيل تسير مع طموح موهبته منذ صباه وحتى اليوم تُجدد فيه الاكتشاف ويقظة القصيدة وسلاسة البوح وتدفُّق أنهار الكلمات من قلبه قبل حنجرته!

فهو قرأ شِعْرَ أجدادِه من أهل كندة الكثير وربما امرئ القيس ملهمه، لكنه لاحقًا حين سهر الليالي عند معارف مكتبة أبيه اقترب من ذاكرة أرسطو كثيرًا، وأدرك أن الشِّعْر ذاكرة الجمال ليقف معه عند تعريف تلك الذائقة بأنها كما يعتقد الشاعر أن الجمال موجود في كل مكان، فهو موجود في ضوء الشمس، وفي الأطفال الضاحكين، وفي الأشخاص العاملين، وفي الرياح، والأشجار، والمطر، والطيور، وأشعة الشمس، وحصاد المحاصيل، وكل شيء آخر، الجمال يكمن في عين الناظر!

وها هي عين الناظر عند باشراحيل تفتحُ آفاقًا متسعةً لأفق الاكتشاف، وتضيء في أعماق روحك نيونات القصيدة بألوان شتى، لهذا في ديوانه (قرابين الوداع) ينهال عليك مطر العناوين ولا تعرف من أي قصيدة تشرب مطرًا لظمأ قراءتك؛ حيث تتدفَّق الأغراض

والمناسبات والمشاعر لتصلَ إلى رغبةٍ عارمةٍ وجدية لتكتب عن الرجل الذي يتواضع بقصيدة إحساس جميل يغلفه كبرياء مختفٍ بين حركة أجفانه لتشعرَ أنه يستحقُّ أن يُكتبَ عنه كلُّ تلك الدراسات والرسائل العلمية والأدبية في جامعات ومحافل شتَّى!

كتبت الفصل الثالث وأنا اشعر أن الاقتراب من عالم هذا الشاعر متعة وسياحة؛ وذلك لأنَّ العناوين تأتي من المكان وجهات شتى، وأغلبها قادمة من مدن الروح التي تسجل توهجات عاطفية لإنسان يحلم جيدًا، وكل عاطفته تسكب بهجتها بما يريد أن يتحقق من أماني مجد حياته، ويتواصل معه من خلال الشعر، فهو يشرك عاطفته مع الكلمات فينتج عن هذا نتاج حسي تضيء في جوانبه كلُّ لحظات التفكير بالقصيدة، وأول مضامينها هو إنسانيتها والرغبة في الذهاب بعيدًا خارجَ منظومةِ المكان المعيش، تكتب في مكة، وتطبع في بيروت أو القاهرة أو دمشق أو بغداد، وتصبح في جمع عناوينها كتابًا يضاف إلى تراث الشاعر وملاحمه الروحية والأدبية، فتشعر ذاته أن مهمة هذا العنوان الجديد للكتاب تحققت، وينتظر ثانية الإيحاء الجديد لتشهد الساحةُ الأدبيةُ والفكريةُ نتاجًا جديدًا لصاحب صدى أجراس متعة الكلمات وعذوبة

إنشاد القلب، فتحسبه يحلم في كل أوقات يومه بالرغم من شواغل حياته المهنية والاجتماعية والعائلية.

((وعلى عموم ما نقرؤه في نتاج الشاعر عبدالله باشراحيل في جانبه الإنساني فإننا مع كل هاجس من روحانيات ذات الشاعر وهي تُرينا جانبًا مهمًّا من جوانب حياته عندما يجعل الشعر هو صلة الوصل مع العالم، وإنما هو الجسرُ الذي يربط نبض قلبه بنبض العالم عبْر قدرتَيْنِ لا يصنعهما سوى تمازُج الفعل الروحي والمادي وهما: الصلة، والتواصل)).

هذه الصلة وهذا التواصل هما من أنتجا لنا كل هذا الفيض الجمالي من شعرية سعودية سجَّلت لذائقتها وأدبها مكانةً محترمةً، فهو لامس الحداثة وتغازل مع الكلاسيك، ومرات حاول المزج بينهما، غير أنك لن تجد في نهاية مشاعر القراءة أنك مع شاعر متحمس وتجد فيه مشاعر التحدي ويعرف أن الذي ينتج كل هذا هو موهبة وإيحاء ولحظات هادئة من طقوس الكتابة، فهو يكتب بقلم وحلم، وهذا يعني أن الشاعر عبدالله باشراحيل مع قصيدته يرينا متلازمة الروح التي تحول بيئتها إلى بهجة للذهاب إلى عالم رحب من أحاسيس الشعر والشاعر، وهذا ما يكتشفه قارئ (قرابين الوداع) يقرأ أو يكتب نقدًا

عن الكتاب، وربما ستكون هناك لكل واحد طريقته، غير أني اخترت النقد الجمالي كجهة أتطلَّع منها إلى عالمٍ هاجسُه الروحيُّ جميلٌ ومعبِّر، وعولمتُه متسعةٌ في أفق أغراضها ومتناولها لتشعر أنك من ينابيع عذوبة ما يمكن أن يقوله الشاعر لنا ويوصله في رغبته لتكون رسالته واضحةً، ومعبرةً، ومؤثرةً، ونبيلةً.

لهذا اعتنيت برؤية هذا الفصل عندما شعرت أنَّ عناوين القصائد تغريني بتفاصيل بهجة أخرى تتنوَّع فيها الأحلام والطرقات والمدن والوجوه والمعاني والشاعر، وكل قصيدة أدخل في تفاصيل عالمها أشعر أن باشراحيل يحاول أن يصلَ إلى أقصى ما يتمنَّى لقصيدةٍ أن تكونَ مؤثرةً، وترحل إلى المسامع البعيدة ليكون هناك الصدى المسموع لصوت الشاعر وقصيدته!

هذا الصدى الذي تزامن في متلازمتي الكتابة معي، ففي الوقت الذي كنت أكتب فيه عن (قرابين الوداع) - وهو الديوان الجديد الذي صدر للشاعر الدكتور عبدالله باشراحيل- كنت أكتب دراسةً جماليةً عن واحدٍ من شعراء جائزة نوبل، وهو فرنسي (سان جون بيرس)، وبالرغم من أن المقارنة يجب أن لا تكون كذلك لأن (بيرس) له خصوصيته وعالمه وتجربته، وباشراحيل أيضًا

لـه خصوصـيته وتجربتـه، لكنـي فـي المقارنـة حـول تـأثير الشعر استفدت كثيرًا من دراستي لـ(سان جون بيرس) وأنا أنظر إلى الديوان الشعري لباشراحيل في أول المقدمات التي نوعها الشاعر بعناوين حياته وتجارب وأفكار ورؤى، فأرجعُ إلى مخيلة التفكير بالشعر وأنا أعرف أنه مشترك بين جميع الشعراء، والمختلف عندهم أن كل واحد يكتبه بخصوصيته ورؤيته وأحلامه وتجربته وهاجس موهبته.

فبيرس استطاع أن يشيد لنا موضوعًا لفكرة يحتاجها العالم ليتخلص من تأثير الويلات القادمة، لهذا كنت أشعر أن هذا النصَّ مكتوبٌ لمن يَعِي الشِّعْر بثقافته الحسيَّة والروحيَّة أولًا ليدرك أنَّ الشاعر كتبه بتلك اللغة العالية الأداء والقصد والجمال، فهو أراد بهذا أن يوصلنا إلى ذات الفهم القديم الذي سكن فلاسفة أثينا إحساسهم بأن العالم مصنوع أولا بالغيب والجمال والكلمة والنبوءة، فيما طقس الكتابة عند باشراحيل هو هدوء اللحظة والتفكير بما يمكن أن تجلبه متعة التأمُّل إلى ما خلف النافذة، والاقتراب إلى حميمية الوجوه، ومحاولة أن يجعل أرديتها عاطفة الزمن المستعاد في المحبة والوفاء والخير والعبادة والارتحال!

فليس بين الشاعرين ارتباطٌ سوى مشترك البوح من الذات العميق، وفي مقارنة بسيطة لا علاقة لها في محاولة جعْلِ التقارُب بينهما ملزمًا، أشعر أن (سان جون بيرس) مثلًا يشعرك أن هذا الإحساس العميق من شاعر لشاعر هو من يقودنا إلى الانتباه إلى ما تخفيه تلك الأغنية (الاستهلالية) وهو يؤشر لنا على مسارات واضحة علينا أن نتبع بها خطوات الخيول التي ستجدها مختفيةً بين عبارات القصيدة، وقد جعلها (سان جون بيرس) طلاسم تحتاج إلى كهنة وعارفين ليفكوا طلاسمها، ولتزداد عندهم متعة القراءة والفهم والتلذُّذ بثمالة الكتابة الشعرية في نضوجها وحسها وقلقها، فهي في النهاية تصل إلى القصد التالي أنها استهلال لأناشيد البشر من أجل البناء والتحولات، وربما أنشد مثلها العمال المصريون الذين بنوا الأهرامات، والفينيقيون الذي بنوا أسوار صيدا، أو العمال المهرة الذين شيدوا جنائن بابل، وزقورات أور أو أولئك الذين شيدوا أهرامات الأزتيك، أو الذين نحتوا ثيران بوابات نينوى، لهذا ترانا نقع في ثمالة الانبهار لتلك الصور.

فيما عالم عبدالله باشراحيل الشعري يوقع تحت تأثير بيئة أخرى أقرب إلى جهة السماء، فإذا كان (بيرس) تلوح

في مخيلته معابد صور ونينوى ومصر، فإن باشراحيل لا يملك سوى معبد أزلية الأرض في المكان المقدس للإنسانية المؤمنة حيث مكة وبيت الله، والذي ظلت معه كنقطة ضوء يشتغل عليها هاجس قصيدته، وتضيء معها مرايا تجربته، وكلما أراد أن يشعل قنديلًا في ليل الكتابة الشعرية أضاء مكة واستعاد معها لحظات مقدسة وذكريات لطفولة وصبا المكان، وأيضًا فهو متحمس لمجد قبيلته، فإذا كان (سان جون بيرس) يشعر أن قبيلته أينما تكون محطات سفره وهاجسه الشعري، فإن قبيلة كندة مثَّلت لباشراحيل -وهي مرتبطة بمجد رب أسرته- صورة الأب، وهي بعض مظاهر عاطفة الكتابة في هذا الديوان، وقد أشار إليها الشاعر في المُقدِّمة البليغة في ديوانه ص/ ١٠٤؛ حيث تجلس قصيدة مؤثِّرة تتحدَّث عن الابن في أصل قبيلته (الأب) وعنوانها: (كِندة الملوك)، ولكنها عميقة في إظهار التأثُّر الروحي والمادي لتلاؤم الأب وابنه في السياق المجتمعي لَوَجَدْنا في حاضنة القبيلة والبيت والوطن عبر الفخر بالذات من خلال الفخر من يَلِد هذه الذات، ويُعلِّمها شرفَ الانتماء إلى القبيلة واستلهام قِيَمها وتواريخها وأصالتها:

أَنَا الشَّاعِرُ الْكِنْدِيُّ وَالصَّادِقُ الَّذِي
سَمَوْتُ عُلُوًّا وَاقْتَرَتْنِي الْأَمَائِلُ
جَمَعْتُ كَرِيمَ الْأَصْلِ وَالنُّبْلِ وَالْعُلَا
وَمَنْ بَذَلَ الْمَعْرُوفَ لَا شَكَّ فَاضِلُ
وَتَسْكُنُنِي نَفْسٌ عَنِ الْكِبْرِ تَرْتَقِي
وَمَا أَنَا إِلَّا لِلْمَكَارِمِ فَاعِلُ

هذا المنتمي لمجد قبيلة خلقت لتواريخها مجد البطولة والقصيدة -يريد بقصيدته عودة أخرى لتلك الظلال المجيدة في فيافي الجزيرة عندما كانت كندةُ تمثل مع القبائل القحطانية والعدنانية عصبًا روحيًّا واجتماعيًّا وأدبيًّا للحياة العربية التي كانت تجتمع ببداوتها ومدنها في خارطة الجزيرة العربية وأغلبها في الحجاز ونجد واليمن والعراق والشام والخليج العربي.

كل هذا التأريخ قرأه الشاعر عبدالله باشراحيل جيدًا، وأدام معه صلة الوصل عبر منجز كبير من الكتابة، وأغلبها كتابة الشعر الذي عاش معه محطات حياة تنوَّعت فيها سُبُل الاجتهاد والدراسة والمنابر الشعرية، لهذا تحدثنا في الفصل الثالث من كتاب النقدي والجمالي في تجربة عبدالله باشراحيل عن هاجس الشعر وعولمته،

ورصدنا خلفية كل هذا التراث الذي كان نبعه وأصوله تأتي أولًا من ثقافة الأب والجد والعروق الأصيلة لكندة قبيلة الشاعر.

كان فصلًا لذيذًا من بهجة قراءة ما كانت تسعدنا فيه قصائد عبدالله باشراحيل وهي تؤذن إلى لحظة التأمُّل والسماع بالدخول إلى مسامعنا وأرواحنا لتشعر أنه يحمل بهجة كلماته إلى كل سامعيه من أجل أن يوثق في أعماقهم هواية حب الشعر ليكون وسيطًا بين عوالمنا الخارجية والداخلية، فأتذكر كلماته التي قرأتها في كتاب أهداه إليَّ بعنوان: (صدى العصر) ما نصه:

((كما كان لكَ الحقُّ في الدخول إلى عالم الإنسانيَّة، يكون لك الحقُّ في ملكياتها الطبيعية)).

هو الحق إذن تتمالكه رغبة الشعر وصدى الهاجس الإنساني في تحولاته العولمية ليفرز لنا هذا البوح الشهي الذي يتجسد فيه صدى مودَّة ما نشتاقُ إليه لحظةَ السماع ونحفظُه عن ظهر قلب.

وعلى ضوء ما يحمل (قرابين الوداع) من محطَّات للنداء الإنساني وأفعاله، أقفُ هنا عند ثقافة هذا التفكير والفعل الإنساني لدى عبدالله صالح باشراحيل، والذي يكون فيه الإنسانُ القِيمَة العليا في كتابه هذا، وهو دائمًا

يحضر بعاطفته وعقله وإيمانه إن كان قد نظَمَ الشعر وباحَ بـه، أو كتـب النثـر وسـاحَ بـه سـياحةً للـروح والخلـق والإدراك، وتوعيتنـا أن الشـعريَّة فـي جانبهـا الكـوني هـي رسالة العارف لمن يريدون أن يعرفوا، ونتاجُها هو دعوته لكي نعيش الحياة بقدر الأفعال الصالحة وليس بغيرها، وهذا ما شعرته وأنا أقرأ مقالاتٍ للشاعر عبدالله باشراحيل في كتابه (صدى العصر) وبصفحة ١٦٩ والمقال بعنوان: (عيشوا الحياة):

((فَلْتَقْفِلُـوا أَبـوَابَ السَّـوَادِ، ولْتَفْتَحُـوا نَوافِـذَ لَحَظـاتٍ تَسْبَحُ بِالغَيْمِ عَلَى رَبِيعِ الأَمَلِ، تُمْطِرُ بِالمون عَلَى قُلُوبِكُمْ. انْفُضُـوا ثِيَـابَكُمْ مِـنْ أَدْرَانِ الْحُـزْنِ، وَغَـالِبُوا الـنَّفْسَ عَلَـى حَمْلِ البَهْجَةِ والسُّرُورِ، أَوْقِدُوا الشُّمُوعَ الضَّاحِكَةَ فِي شِتَاءِ أَعْمَـارِكُمْ. احْتَفِلُـوا مَـعَ العَصَـافِيرِ بِأَعْيَـادِ العِشْـقِ، وَانْثُـرُوا الأَيَّامَ أَزْهَارًا عَلَى جَدَائِلِ الزَّمَانِ)).

الفصل الرابع
الشعر وعطره

لم يغب إحساسي بعالمية الشعر والشاعر، فأسميت الفصل الرابع من الكتاب ((الشاعر عبدالله باشراحيل ضوء العالمية في عطر ديوانه الجديد))؛ ذلك لأن هذا الديوان لمعت فيه إضاءات لغوية وجمالية وغنائية بمستوى إيقاع روح الشاعر في محاولته أن يذهب بما يبدع فيه إلى خارج حدود المكان الذي كتب فيه أول قصائده، ولا أدري لماذا شعرت أن بعض بل من أهم الإحساس الشعري لديه هو عالم الأم، وحسبتها أنها عالميته، فهي بالنسبة لديه حواء المقدسة بمواعظ وأناشيد البركة، وقد حدثها بكل إحساسه وعواطفه لتكون مضاءةً كما نجمة داخل أوراق الديوان، وليشعر أن ترحاله أينما يكون فإن أمه معه، وربما بسبب حنانها وأمومتها وإيمانها امتلك الشاعرُ قدرةَ السعيِ للوصول إلى رغبة الاتعاد بنصه إلى

حدائق العالم ليشعر أن وردته الشعرية تمتلك عطرًا لبلاده وأجفان أبيه وصلاة الأم المباركة.

كتبت هذا الفصل وأنا أدرس القصيدة مع إيقاع لحظة كتابتها، فشعرت أن باشراحيل كان وفيًّا لذاكرة وملامح السيرة البيتية والاجتماعية لوالدته، فكتب عنها كل هذا- وجعله تراثًا لتأريخه الأدبي، واستحقَّ بفضلها أن يكون شاعرًا متميزًا عاش عند بحيرة الحلم، وصنع من تأمُّل الماء عناوينَ لقصائد الضوء الذي منحه رغبة الولوج إلى عالمية الأدب، وانتمى بفضل موهبته إلى منصات الإلقاء ليستمع الجميعُ إلى صوتٍ آتٍ من الجزيرة العربية وقد تعطَّر ذكرياته وحقائب سفره بهاجس وجه أيقظ فيه دوافع الكتابة، وأضاف إليه طيف ملامحها هاجس المضي بعيدًا مع إصراره ليكون شاعرَ لحظةٍ منعشة وحقيقة ودافئة.

ومن دفء ما كنت أقرؤه في قصائد هذا الفصل والتي أردتها أمثلةً تبين سبب التسمية، كانت صورة الأمُّ هي ما بقيت أعتقده تمثل تأكيدًا لصدق مشاعر الشاعر وهو يقول كل هذا ويحاول أن يصفه لنا في تراكيبَ بلاغيةٍ وقوافٍ وإيقاعات لابتهاج المؤمن وشكره لهذا الكائن الذي كتب عنه في كل أوقات حياته يوم كانت وردة البيت وكاهنته، ويوم داهمها المرض، ويوم اعتلت روحها

الطيبة إلى العلا البعيدة لتنال فردوسًا يليق بإيمانها وعاطفتها وحُسن ما ربَّت به أولادها وأحفادها.

تلك الرؤية هي من وسعت في تجربة الشاعر عبدالله باشراحيل مهنة إتقان صنعة تعدد العناوين على مستوى جمالها الروحي والأدبي، وكان روح الآن هي من ظلَّ يعتقد أنها تلبس قصيدته رداء الجمال وأجنحة النوارس لتطير في فضاء العالم الواسع وتصل إلى غايتها من خلال شعوره أنه أصبح معروفًا كاسم شعري مهم في تأريخ الحركة الشعرية في بلاده المملكة العربية السعودية التي جسدها بعاطفة إنسانية تسافر حيث يمكنها وباقتدار أن تُعبِّر عن نفسها، وكان عبارة عن أناشيد روحانية فيها الكثير من صدق المشاعر والعاطفة والرؤية والمناجاة.

((هذه المُناجاة في قلب الشاعر تُشبه الأدعية، ولكنها أدعية بصَدَى الوجدان والعاطفة والأحاسيس الروحانية التي تجعل من نداءات التضرُّع إلى الله جسورًا لرغبة المُشافاة للمرأة التي هي عظيمة بيت الراحل محمد صالح باشراحيل، ولكن تحوُّلات تلك الأدعية المُتضرِّعة بكونيَّتها وهي تتمنَّى من السماء استجابةً تصطدم لاحقًا بمراثي الرحيل لترتقي روح الأم، ويقرأ على مسامعنا وأينما نكون رثاءات حزنه وصدَى الألم الذي يوقِعُه هذا

الموت الحنون لسيدة المنزل، لتهبط عليها ابتهالات يوجزها الشاعر برثائية على الرغم من قلة أبياتها، إلا أنها عميقة جدًّا في إيضاح المعاني وتِبيان حقيقة أن الشاعر الكبير حتى في حزنه سيكون كبيرًا، وهو يهطل علينا بمدامعه وأحزانه في لغة أناشيد الحزن والألم واللغة التي تسقط أمطارها على أرض الذكريات ليتورَّد في حدائقنا زهر الحزن الذي عطَّره رِثاء الكلمات وقدرتها على الوصول إلى قلوبنا)).

هذه القدرة المتشحة برؤيا الشعر ليكون غيمةً وشراعًا سندباديًّا يرتحل بعاطفته وعلمه وحضوره وشخصيته وقصيدته إلى أمكنةٍ شتَّى، من مكةَ إلى القاهرةِ، وإلى بيروت، وإلى لندن، وإلى كولمبيا، وإلى زوريخ، وإلى المغرب والخرطوم والجزائر.. يحاور بذاكرته مستمعيه، ويسمعهم أناشيدَ شعرية نالت بركات أمه لتسافر معه نجمة في فضاء شعري رحب، وفي حقائبه وعناوين الدواوين التي ذهبت من قلمه إلى الورق ثم إلى المطابع ثم إلى منصَّات الإلقاء ورسائل الباحثين والدراسين.

هذا الفصل كان بإيقاع مختلف وأنا أدرك أني أصبحت أعرف عالم الشاعر جيدًا، ومعه أقيم طقوس قراءات متبادلة: هو بقصائده، وأنا بقراءاتي الجمالية عنها، فأشعر

أن عالمه صفاء بلاغي لرسالة الروح ومهمتها في الحياة لأنها تمثله وتحقق في جمالية تناولها أحلام صباه التي أراد فيها أن يكون اسمًا شعريًّا معروفًا.

وهذا الديوان (قرابين الوداع) من بعض محطات الحلم المتحقق، فكانت رؤيتي لنتاج هذا الشاعر الذي يعيش الإلهام في كل يومه تمثل قراءة مشبعة بأطياف عناوين القصائد وهي تمنحني مساحات من تأملها والكتابة عنها بخواطرَ نقديةٍ وجمالية شيقة تمتلك بريقَ الحس وعاطفة القراءة اللذيذة وأنا أشعر أن عالم باشراحيل ينظر إليه أنه عالم مضيء من إشراقات الشعر وفي قلب شاعر.

هذا الشاعر هو من أدرس أحلامه وتفاسيرها التي تسكن قصائده، وتؤسس لها بوحًا بلاغيًّا وصوريًّا وفكريًّا، وبإيقاعات تختلف مع اختلاف القوافي التي تؤسس أركان النص من أول قافية حتى نهاية القصيدة، فتشعر أن عليك أن تعيشَ متعة كل بيت شعري، فهو من الشعراء الذين يحسنون الربط والإيحاء وصنع متعة القراءة التي تمثل جسرًا بين الجفون وحدائق الشاعر التي تمنح للكلمات عطر شذى نبض هاجسه الكوني والإنساني والإيماني والروحاني أيضًا.

فكان هذا الفصل قراءة تتعمق بأشياء الشاعر ومؤثراته في رؤاي وأنا أتابع العناوين في عطر ديوانه الجديد، وكل قصيدة أشعر أنها تمتلك عطرها وخصوصيتها وإيقاعها، وعليَّ كناقد لبوح تلك الجماليات أن أتلمس خطوة الجفن في تلك المساحات المضاءة في قلب الشاعر وهو ينادم فينا أحاسيسه ورؤيته وتهدُّجَاته وأحلامه، وتلك التَّهدُّجَات يصنعها إيقاع صوت شعري تجمل حباله الصوتية إيقاعات هادئة لترتيل متنوع تتحدث عنه الروح قبل الحنجرة لتذهب إلى المسامع والجرائد وأماسي القصيدة التي يحتفى به شاعرًا مجيدًا ومؤثرًا وصاحبَ نزعةٍ للتجديد في التأليف الشعري وكشوفاته الجميلة، هذا الصوت كنت أصغي إلى مقدرته الإلقائية وأتحسس كل معنى كلماته، ومتى سمعته أول مرة حتى كتبت عن المقدرة الصوتية لدى الشاعر، لأكتب عنه بلغة إعجاب وأنا أراجع طقوس قراءتي للفصل الرابع من كتابي عنه، وعليَّ أن أبدل لحظة القراءة لقصائد (قرابين الوداع) إلى لحظة سماع يشدو فيها الشاعر بقصائده أمام جمع من متذوقي الشعر في أي مكان من هذا العالم:

((وعلى مستوى عالمية الصوت الشعري يكتشف السامع والضالع بمعرفة وإتقان اللغات العالمية الشاسعة

مدى تأثير صوت الشاعر في صناعة عالميته، وتحسس تجربته وخصائصها وربما قصائد المقاومة الفرنسية التي كتبها (أراغون) وأنشدها ترينا فعل الصوت في صناعة روح المقاومة الثورية ضدَّ الاحتلال النازي، وكذلك عندما نسمع صوت الشاعر الداغستاني (رسول حمزاتوف) بنبرته العميقة الرخيمة لتكتشف من خلال الإلقاء والصوت رخامة النبرة القروية والجبلية حتى في معاني ما يطلقه الشاعر والكلمات فيما يرينا صوت (إخمانوتوفا) الحزين الكثير من ملامح تجربتها الروسية الحزينة التي تعرَّضت فيها للعزل والتهميش أيام الطاغية (ستالين).

هنا في هذه الدراسة الباحثة عن الأثر الصوتي في ترسيخ فكرة القصيدة وجمالية تأثيرها وأغراضها ندرس عمق وتأثُّر هذه الدالة عند واحد من الشعراء الذين يحسنون قيمة الصوت في تكملة رسالة القصيدة إلى جمهورها؛ الشاعر السعودي الدكتور (عبدالله باشراحيل).

وباشراحيل صوتٌ شعريٌّ متقن الأداء، ويكتب بتعدد أغراض تصنعها روح مدركة لوعي موهبتها، وهو يكتب نصَّه بسعة اللحظة المصنوعة بإيحاء لا يحسبه التخطيط الآني، بل نراه يخضعُ لحياء اللحظة غير المعروفة، أي أنه

لا يكتب ليكتب؛ بل إنه يكتب عندما تقوده إيحاءات الروح ليضع الصوتَ في كأس القصيدة وتشربها العناوين إلى الكثير من مظاهر المشاهدة والرَّصْد والانفعال والإحساس بما حولنا)).

هذا الصوت له ميزات كثيرة تمتلك مقومات الشهرة والجلوس على أرائك الموهبة الحقيقية التي تحدثت عنها في كتابين وعدة مقالات، ومرات تسنح لي الفرصة لأتحدث عنه أمام جمع من مريديه أو محبي تجربته الإبداعية حين يكرمه مجلس مكي، فتكون لي كلمة عن عالَم عبدالله باشراحيل تُقرأ نيابةً عني.

وأشعر أن من يسمع شهادتي عن باشراحيل أني أعرفه جيدًا، فأنا قرأته بتفاصيل دقيقة وعرفت عن الذي يسكنه ليبوح من مهجته كل تلك العناوين التي تأخذ إيحاءاتها من نظرات عينيه ومشاعر المكان الذي يسكنه ويتعايش مع أشيائه، أو الذي يعيش فيه، لهذا فأنا أفهم ديوانه الجديد وأشم عطر قصائده؛ ذلك لأنني أفهم الشاعر جيدًا، فهمت تعاملت به من خلال تفكيك النصوص والتعامل معها بمزاج قارئ أولا، ثم باحتراف نقدي، فهو في ديوانه يعيش طقوسًا مختلفة، ولكن ما يميزها أنها جميعها نتاجٌ إبداعي لنبض قلبه ليبدأ بك من الهاجس

المحلي، ثم يطوره إلى فضاء أبعد، ومتى شعرت أن القصيدة تنفلت في فضاءات الكتابة الموسيقية والفكرة العميقة حتى تشعر أن باشراحيل يصبرُ كثيرًا على قصيدته، ثم يكتبها! فهو يمارس معها تطويرًا عاطفيًّا وذهنيًّا ولغويًّا لتبدوَ لنا نصًّا فخمًا من إبداع حالة تهمه، ولكنها مسجلة باسمه مثل ماركة عطر باريسي فاخر!!

هو يرى ويحس ويسكنه إلهام لحظة تهمه هو، لهذا يكتب لنا شعرًا بخصوصيته هو، بعالميته هو، بثقافته هو، وقد حمل الديوانُ وجدانياتٍ روحيةً رائعةَ الأداءِ من خلال تعاطيها لرؤى التعلُّق بهاجس الإيمان الديني والوطني، وهو أيضًا في هذه المجموعة يؤسس لبيان تعريفي لتجربته عبر سنوات كثيرة من المنتج الإبداعي والمجتمعي، وفي قصيدته البديعة بجرس ألفاظها ودلالتها وعذوبة الشدو فيها والمسماة (يا ليل) من ديوان (البرق الحجازي) نرى التدفُّق الصوتي واللفظي في محاولة القارئ لسماع صوت الشاعر يضع ذبذبة الموسيقى في حنان إنشاده ومحاولته مزج الطبيعة بندائه الوصفي ليصلَ فيه إلى ما يشبه الصلاة الشعرية:

ويا "ليلُ" ما كلُّ القلوب أمينةٌ

كقلبِ محبٍّ يجمعُ النُّبلَ والرِّفقا

ويـا "ليـلُ" مـا الـدنيا إذا لـم يكـن

بهـا وفـاءُ خـليلٍ للنوائـبِ يُسْـتَبْقَى؟

ويـا "ليـلُ" قـد يهـوى الفـؤادُ بملحـةٍ

وقـد يُـرزقُ السَّـاهي ومـا قصـد الرِّزقَـا

لعـلَّ بلـوغَ المـرء للسَّـعد والهنـا

يكـونُ إذا مـا أحسـن القـول والنُّطْقَـا

هذا الليل تدفقٌ وجدانيٌّ عميقٌ يظهر لنا قدرة الشاعر على التعامل مع اللحظة الفجائية التي تسكنه وتهمس إليه: أكتب قصيدتي، فأشعر أنه يكتب في غير حساب لمواقيت معينة، تهبط الكلمات مشتعلةً بشموع الرغبة لتجتمع في سطر بيت شعري يأتي من بعده بيت ومن بعده ثالث، وتستمر أمطار الإلهام تتساقط وفي لحظة مفاجئة تتوقف القصيدة، فندرك أنَّ الشاعر استوطنه اللحظة التي اكتملت، ولهذا فإن تجنيس قصائد كتابه الشعري (قرابين الوداع) لا يمكن أن نضعها بمسار واحد وغرض واحد، فقد اختلفت فيه مشارب الحس والمناسبات بين الوجداني والاستذكاري والحكمة والغنائية والغزل واللحظات الإيمانية، وأخرى تكون عاطفتها مرتبطةً بحدث ما أو قضية وطنية يرتفع فيها

صوته من أجل الحق أو نصرة مظلوم كما مع القضية الفلسطينية وغيرها من مواقف العروبة؛ لأنه في الكثير من نصوصه كان يعتمد انتماءه إلى قبيلته كندة شرفًا عروبا تجسد اليوم بوحدة مع المكان المكي فصار انتماءً إلى مملكته، فقد تناخى لغزة، تناخى لأمكنة أمته وهي تتألم، وربما أضع في هاجس الذكرى قصيدتَه عن جنين التي تنبأت بحزن غزة وما يحدث لها وبسنوات طويلة لتشعر ما بقيت أشعره أن الشاعر الحاذق هو من يمتلك النبوءات والاستشراق وأزمنة المشاعر لرؤية تحدث لاحقًا، وكان يقول:

لهذا كانت نبرة صوت قصيدة (جنين يا جنين) تنبئ سامعها بشجن مترادف، وإيقاعات صوت تحرير وتشكيل لكل ذكريات النوح، وجمع شمل الأحبة، وعطر شجيرات بساتين الليمون والزيتون:

((جنين يا جنين.. حدثي الأحزان والأوطان
وحدثي الفصول والسنين.. عن مجرم لعين
عن آهة الطعين...
عن كل بيت صار قبرًا للشهيد
وهو ينحني على تراب حلمه الدفين))

يوعز ألينا صوت عبدالله باشراحيل في قراءة مشهد جنين أنه يتوقد محبَّةً للمكان ولكل تضحياته من أجل قيامة وجوده الإلهي والوطني والقومي..

وأيًّا كان صدى الآتي من القصيدة فالسماع هنا يجمع فتنة إنشاد يحتفي بتذبذب الصوت لأن المناجاة فيه تقع في صدى الألم والتآزر والمحبة التي يصنعها الشعر والشاعر في الاشتياق إلى مدينة هي جزء من القلب، ويحتلها غاصب.

في الرؤيا الفكرية تحمل قصيدة باشراحيل صوتًا واثقًا ومعبرًا عن عمق العبارة ودلالتها، فهو كما رأيته وقرأته أول مرة يضع كلماته في صدى وعي آمن فيه ولن يحيد عنه؛ وعيٍ تختصره مسافاتُ الإيمان السماوي والأنظمة الفلسفية القديمة، حتى لَيحسُّ السامع في صوت الرجل نبرةً متحدةً من عالمين (الدين والفلسفة) ومن هذين الإناءين يفيض نغم الكلمات، وتتعدَّد مشاهداته وأغراضه وهواجسه.

لقد كان الشاعر عبدالله باشراحيل يكتب بتعبيرٍ صادقٍ وبروح عربية مسلمة لا تقف عند حدود بيئتها؛ بل تنطلقُ لتُسمع صوتَها كلَّ البيئات الأخرى، وقد ثقَّف نفسه جيدًا ليكون متمكنًّا من أدواته، ويحمل صبرًا ومراجعةً متأنيةً

لقصائده وعناوينها، فأتت نصوصُه محبوكةً لحرفة روح قبل أن تكون حرفة قلم!

هذا الفصل (الرابع) هو فصل الإيحاءات الجميلة التي رأيتنا في عناوين القصائد التي كُتبت في فترات عمر الشاعر منذ نضوج الموهبة وحتى مراحل تطورها من ديوان إلى ديوان لنشهد في آخر دواوينه (قرابين الوداع) حس عولمة المشاعر وتطورها إلى آفاقٍ أرْحبَ، ولتعدد في الأغراض الشعرية، ويشعر قارئ نتاج الشاعر تطورًا حسيًّا وذهنيًّا رائعًا.

الفصل الخامس
رسائل الشعر في قلب الشاعر

ومن فصل إلى فصل تتوسَّع مدارك القراءة وفهم مبتغيات القصائد، فنقف عند فصل جديد هو الفصل الخامس والموسوم (قرابين الوداع وقرابين الحب رسالة الشاعر في أزليته)، وهي رسالة مقروءة بحس شفاف تهيمن عليه عاطفة الموهبة التي تعرف قدر وأهداف مبادئ الكتابة والفعل الذي يمكن أن تنتجه لمن يتذوق الطريقة التي يتناول بها باشراحيل موضوعاته الشعرية بنسق مدروس من خلال بلاغة اللغة وموقفها ومناسبتها وغايتها.

إذن يشعر من يقرأ عبدالله باشراحيل أن الذهاب إلى الهاجس الحكيم في قراءة العالم وما يحيط به يبدأ تأمليًّا أولًا ثم يذهب إلى المعاني والأغراض الأخرى، لهذا كنت في الفصل الخامس أتأمل عالَم الرجل وأنا أعرف

أنه ينشغل بحس وإيقاع ورؤى مختلفة عن شعراء آخرين يصنعون حضارة المشهد الشعري والثقافي في بلاده.

(ويبدو أنَّ شاعرًا يعيش فِطنَة موضوعاته مثل عبدالله باشراحيل يذهب إلى أكثر مدى من ومضة الهايكو؛ فيُحوِّل حزن الرحيل إلى صدَى أوبرا الأحاسيس، وكلمات فخامة الحزن الذي يسكن قلبَه، ويبدو أن (قرابين الوداع) تقف معه، ويتحدث من خلالها بلغة مرئية يُكسِبها ضوءَ الموهبةِ والإلهام إحساسُ الشاعر بكميَّة الحزن التي تتحوَّل في عيون قُرَّائه إلى سعادات تتشظَّى برُؤَى عباراتٍ ينحتها الشاعر من ذهب وضوء في قلوبنا التي تنحب معه، ونحن ندرك أن الذي يكتب ليس فخامة للغة القصيدة، وإنما هو يحسن التبجيل وكتابة أساطير الحزن الذي لم يُفقِده من توازن الموهبة بشيء؛ لأن الموهبة هي هبة سماوية تُعطَى لمن لديه الاستعداد ليكون واضحًا وشجاعًا ومؤلفًا).

فهو يمتلك الرؤية شاعرًا تثيره لحظةُ التألُّم إلى مدى ما يراه ويغور في أعماق ما يتأمله ليعبر عنه فتراه يكتب شاهدًا لحدث أو مستذكرًا حبيبًا، أو مادحًا من يستحقُّ المديح، أو يحزن لفقدان عزيز على القلب. إنه يظهر رؤيته بحماس وشجاعة، لهذا تتنوع الأغراض والعناوين

لديه، وما عليك سوى أن تضع في وعي المقارنة صورة مقربة لعالم الديوان ورؤاه التي تتعدد فيه نوافذ المشاهدة، ومرة تكتب بشكلها التأملي والجمالي، ومرة بلغة الرثاء والفقدان، ومرة بلغة عاشقة، وأخرى تصبغ عليها الملحمية صور البطولة والانتماء والافتخار بالوطن والقبيلة والبيت وروح الإنسانية التي ارتداؤها ثقافة وتَطبع وتربية وإلهام.

كان الفصل نتاجًا لمتعة القراءة في عالَم هذا الشاعر المجتهد والذي لا يتوقف عنده الحماس، ومتى أعدْت قراءة الفصل حتى شعرت أن ضفاف القصيدة لن تكون لنهر واحد أو بحر واحد؛ فعبدالله باشراحيل تتعدَّد في أكوانه الأنهر والبحار؛ فهو يكتب لكونية يعتقد فيها أن الشعر هو الوسيط الحقيقي لتحقيق أحلام البشر ونبوءاته في عالم جميل ومسالم تستيقظ فيه أحلام البشر، وتؤسس لعالمها مبادئ الخير والجمال والحب.

كتب الشاعر عبدالله باشراحيل قصيدةً من أجل الرؤى التي سكنت إيمانه بأصالة انتمائه وعائلته، ومنذ أول القصائد بَدَا ظاهرًا أنه يسير وفق نهج علمي وتعليمي متوارث من بيئة المكان وثقافة نسل عريق لآل باشراحيل، لهذا كان الفصل الخامس تجنيسًا جماليًّا بين رسالة

الشاعر وما كتبه في (قرابين الوداع) لتكتشف أن الحب بالنسبة له هو إشاعة الوعي وثقافة الإبداع الإيماني الملتزم بثوابت تلك الدروس التي استقاها من منابع الفكر في العائلة.

قرأت في روح الديوان وفي هذا الفصل بالذات لأقفَ عند مفاهيم تلك الرسالة التي حوَّلت الشاعر إلى لسان حال بهجة الشعر المرسلة إلينا وإلى رغبته من خلال عناوين كثيرة داخل الكتاب ليكون الحب رسالة وفقه التعبير عن الحلم بطريقة جميلة وهادفة وذات معنى.

هذا الرجل المسكون بجدلية القصيدة وهي ترتدي ثوب التمكُّن في كل مواضعها يدرك تمامًا أن الهبة الإلهية في هذا المنحى تمثل نعمةً وفضيلةً، ولهذا نراه يسخِّر وعيه وموهبته في اتجاهات تظهرها لنا عناوين قصائده التي تنشرها الندوة بين حين وحين!

فهو -كما أراه في مشروعي التدويني- طاقة وجدانية لم يُنْتَبَهْ إليها بقدر مدروس بعناية، فحين تضع نصه في ميزان النقد والتحليل أو تُلبسه التفسير الجماعي للعنوان والمعنى تجد الكثير من غايات الشعر تنساب بعناية وعفوية ووعي، وفي نصه أيضًا يحرص الشاعر على منح عبارته كمًّا هائلًا من موسيقى جرس اللفظ لتأتينا القصيدة

محتفيةً تمامًا فيما تريد أن تقوله وتوصله للقارئ والناس عمومًا!

لقد كتبت فصل الكتاب الخامس وأنا أدرك أنني مع عناوين تهطل كمطر وتتعدَّد فيها الأغراض والمعاني أعيش الارتباك في مقدرتي على مسك غاية كل قصيدة، فقد كان يضع أمام قارئه ومن يشتغل النقد أبوابًا مفاتيحها معه ولم يكن يضع صناديق تحتاج إلى مفاتيح لفك ألغازها.

لهذا حين تقرأ فأنت تتشبع وتشعر أن الرجل يثير فيك دهشةَ القراءة، ويمنحك من بريق الكلمات هاجس معرفته، فتستطيع أن تكتب عنه بجمالية ووضوح، وتستطيع أيضًا أن ترتقي بقراءتك لعوامه لتشعر أنها نضوج فكري وشعري لرجل فكَّر أن يجعل موهبته أداءً أدبيًّا وشعريًّا وحضاريًّا نافعًا يسهم من خلاله برفد ثقافة بلاده بجهد من إبداع الشعر، والرفد الجديد كان ديوانه الفخم والضخم (قرابين الوداع) الذي كان حقًّا رسالةَ حُبٍّ في أزلية الشعر ليكون ناطقًا لوجدان الذات وأحلام البشر أن تصل بقرابينها إلى حالة شعرية ساحرة من الإحساس وتنامي العاطفة ونمو المشاعر ليغسل من جفن الشاعر وقلمه مطرًا صافيًا آتيًا من أصباح مكة وزمزمها

لتولد في أوراق باشراحيل قصائد بوح عاطفته التي يراها وتحيط به ويكلم موداتها بلغة الشعر والعطر، فيكتب بسعادة روحية خالصة عن الأم والأب والصديق والوطن وولي الأمر وكل ما يشعره بالانتماء إلى هذا العالم الرَّحْب عالَم بلاغة الكلام والمعنى، فمنذ أن قرأت نتاج صديقي الشاعر السعودي الدكتور عبدالله باشراحيل حتى شعرت أنني أمام موهبة لرجل حكمته وعاطفته في معنى قصيدته، ليشعرك أن الانفراد في القول يجعلك تنتبه إلى معنى العبارة وما تشير إليه، وتلك الانسيابية تحتفي بعمق وموسيقى دون زحاف في قافيتها، أو تخلل في إيقاع موسيقاها.

أحرف تلتصق بأحرف فتشيد لنا عبارة عميقة تلتصق بأخرى لتكون بيتًا شعريًّا لقرابين وداع واستمتاع ورقة إيقاع تتناغم فيها الكلمات مع المعاني، وترتدينا بهجة القول والتعبير عن مكنونات الذات المبدعة، ذات إنسانية تعرف أنها تؤدي رسالتها على أكمل وجه.

الفصل السادس
الحكمة في قرابين الوداع

حمل الفصل السادس معي استمرار دهشة القراءة؛ فهو معنون كالتالي: (دلالة الحكمة بين كتابي "قرابين الوداع"، و"صدى العصر") وهنا جاء اهتمامي بالحكمة الشعرية التي تنطق بها ذات الشعر شعرًا وفكرًا، وفي التناجين يسجلُ الشاعرُ عبدالله باشراحيل تفاصيلَ مهجة ما تنطق به أعماقه، وكلها مسارات محبة وخير وتحفيز ذات القارئ نحو فعل الأعمال الجليلة.

لقد سخَّر الحكمة لتكون درسًا نافعًا وقد صنعتها تجارب الحياة عبر محطات وتحولات خبرته فيها الحياة وعلمته كيف ينتج كلامًا نافعًا، وأنا في قراءتي للكتابين صنعت تصورًا من معرفة قديمة بما يشعره الشاعر ويحسه، ولكنه في هذين الكتابين طوَّر رؤيته إلى العالم والحياة، وجعلها في أفق أبعد وهي تفسر ما يريد الشاعر أن يصلَ إليه من أن الإغريق جعلوا الفلسفة في معناها

هي حب الحكمة، فإن حكمته هي حبُّ الناس والحديث معهم بلغة الشعر، الناس الذين ينتشرون في خرائط عاطفته ويقترب إليهم بعينيه ونبض قلبه وقصائده، لهذا انتبهت إلى حكمة الرؤية عنده، فكانت شعرًا ونثرًا لذاكرة طيبة ومدركة لتأثير الكلمة وفعلها، ولقد سيرها لتكون زورقَ نجاةٍ وليس سفينة غرق!

في هذا الفصل بذلت جهدًا وأنا قبل كتابتي عن كتاب الشعر (قرابين الوداع) أقرن رؤية الحكمة فيه بكتاب آخر (صدى العصر) وبنفس الوقت ومن ذات المطبعة، لكنَّ الأول شعر، والثاني فكر تزينه حكمة النظر إلى العالم، وتفسير أحداث الحياة ومحاورتها.

ومتى قرأت الكتابين بذات الفترة حتى تكتشف تقارب الفكرة والهاجس والدافع للإبداع، غير أن دلالة الحكمة في (قرابين الوداع) سيرتها إيقاعات موسيقية لضرورة الشعر وطبيعته، فكانت حكمته مكتوبةً على شكل قوافٍ وأناشيد، فيما كانت أفكار كتاب (صدى العصر) على شكل مقالات لأفكار تهتم بجوانب كثيرة في حياتنا (علم نفس، وسياسة، ومسائل إيمانية واجتماعية وأدبية وروحانية، وهواجس أخرى).

ولكن قارئ الكتابين -من غير أن يشعر- سيجد في النهاية أنه يلتقي بمجرى نهري الكتابين، فيشعر أنه على ضفة واحدة ماسكًا الكتابين بيدٍ واحدة، وينوي لهما معالجة نقدية واحدة، لهذا شعرت أن أجمل الروابط بينهما هو رابط الحكمة ودلالتها، تلك الدلالة التي تقودنا إلى مشارف الضوء وإنارة الأفكار، ونعيش اليقين أن شاعرًا مثل عبدالله باشراحيل إنما هو طاقة من العاطفة والتفكير وصنع الأيقونات الواعية لهاجسين هما: فكرة العبارة، وجمالها.

هذا الجمال هو الطريق إلى الحكمة، ودالة الوصول إلى مدن الإلهام، واستيقاظ العبارة في رؤيتها وسياقاتها أن تكلم عن ذكرياتها وأن أعيش مجد الحياة في طفولة البيت، أو أن صنع المناجاة لحب الوطن أو سيرة الوالد، أو هطلت دموعه على فقدان أناس يحبهم وكانوا معه يجلسون جنبًا إلى جنب في عربة الحب والصداقة في قطار الحياة!

وكما ذكرت سابقًا أنه ينهلُ من بحار الحياة وأنهرها، ويعيش نشوة ما تعلمه ويحوله إلى حكمة قول ورثها من أزمنة الضوء والكتب والتواريخ البعيدة في تماثل يسكنه وعي وإبداع وخيال وحقيقية تحاول أن تستعيد الأزمنة

بكل هيبتها والبهاء والصيرورة أيضًا، تلك الصيرورة التي قدر لها أن تكون لصيقة الشاعر بصفات كثيرة منها الحكمة والموقف والقلب الكريم والمتسامح، وهو ما يثبته لنا قوله في واحدة من قصائد ديوان (قرابين الوداع):

وَكَمْ نَأَّسَى عَلَى الدُّنْيَا وَفِيهَا
وُحُوشُ الْإِنْسِ أَقْسَى الْقَاتِلِينَا
لَقَدْ فُطِرَ الزَّمَانُ كَمَا فُطِرْنَا
حَيَاةٌ لَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَا

هذه حكمة استنباطيَّة من دروس الحياة، ارتدَتْ ثوبَ الموعظة من خلال إحساس الشاعر وتجربته في الحياة وتعامُلِه مع مختلف البشر من أذواق وأمزجة وأجناس وثقافات وتبايُن طَبَقي، وحتمًا في الشعر ترتدي الحكمة خصوصيَّة البناء اللغوي للبيت الشعري من حيث القافية، والشطر، والعَجُز، والوزن، والبحر الشعري، والشاعر الفَطين مَن يشعر أن الحكمة تسكن روحَه، وعليه أن يُسمعها إلى خلق يحبه ويقرؤه مَن يتحفظ بمعنى حكمته وقصديَّتها داخل شروط التأليف والكتابة الشعرية، وأظنُّ أن الشاعر عبدالله باشراحيل قد نجح بذلك تمامًا.

لهذا كان الديوان هو الحكمة التي تنطقها الكلمات على مسامع الورق وتبشر فيها؛ ذلك أن من يقرأ باشراحيل يدرك تمامًا قيمة ما يريد أن يوصله إلى أرواحنا وهي تمتع قراءاتها في السير والتنزه بحدائق الشعر في مساحات ممتعة من حقول الوعي واللغة البليغة والقوافي المموسقة بنبض قلب الشاعر ورؤيته إلى العالم ومتغيراته، من مكتبة البيت وحتى آخر جغرافيا، وكما في محصلة رؤيا قديمة عن هاجس الحكمة وآفاقها في شعر باشراحيل أصل إلى قناعة ثابتة بأن الحكمة في الرؤية الفكرية تحمل قصيدة باشراحيل صوتاً واثقًا ومعبرًا عن عمق العبارة ودلالتها.

فهو كما رأيته وقرأته أول مرة يضع كلماته في صدى وعي آمن فيه ولن يحيد عنه، وعي تختصره مسافات الإيمان السماوي والأنظمة الفلسفية القديمة حتى ليحس السامع في صوت الرجل نبرة متحدة من عالمين: (الدين والفلسفة) ومن هذين الإناءين يفيض نغم الكلمات وتتعدد مشاهداته وأغراضه وهواجسه.

صوت القصيدة المفكرة عند عبدالله باشراحيل هو صوتٌ ينمُّ في دلالته عن فخامة جرس الكلمة وثقافتها، ويدفعك الإصغاء إلى التفكير مليًّا بمسار الجملة والقصد

منها بالرغم من أنه في كل قصائده الفكرية يحاول أن يرينا فقهًا ثابتًا من رصانة ثقافة المكان (البيت، الوطن، المدرسة)، ثم يتحرر من هذه الهواجس في شبابه ليمضي بعيدًا إلى أمكنة فكرية أخرى تجوب العالم بأشرعة القصائد وصوتها العالي.

كانت رؤيتي لحكمة الشاعر في نتاجه قائمةً على تفكير وقراءة واستنتاج من أن باشراحيل يزن العبارة عقلا قبل أن يزنها قافية وهو يدرك تماما أن الشعر بدون وعْيٍ لن يؤدي أي غرض من أغراضه، لنغادر حدائق حكمة الشاعر.

الفصل السابع
وردة الشعر وحدائق روح باشراحيل

ونذهب إلى فصل السابع عن متعة روح الغزل في أناشيد البوح الشعري في عالم باشراحيل وعنوانه (عاطفة الروح ببراءة الغَزَل العفيف: ديوان قرابين الروح حديقتها).

هذه العاطفة هي المتلازمة الروحية إلى جميع ما كتبه وشكل منجزًا كبيرًا، وكان الغزل صورةً لمتعة الجملة في إيصال القصد الذي أراد فيه أن يرينا قدرةً جميلةً لموسيقى العبارة وعلاقتها بنبض القلب ومسائل الحب بشكله العاطفي والإنساني، وهو غزل عفيف تُراق على ورد حروفه عطور شجن الهمس الشعري، وتشرق على جنابته أضواء أحاسيس باشراحيل وهو لا يتوقف بين الحين والآخر أن يصنع لقارئه لحظةَ إمتاعٍ قرائيةً وسماعيةً عن ما يتقاسم القلوب من لهفة الود والاشتياق والعيش الجميل بين آدم وحواء.

ومن يقرأْ ديوان الشاعر عبدالله باشراحيل (قرابين الوداع) يكتشفْ أنه يعتني بهذا الغرض جيدًا، وهو واحد من نوافذه الروحية التي تتسم عاطفتها ببراءة المشاعر ورقتها وجمال أجراس قوافيها، فالمرأة تُشكِّل في عالم عبدالله باشراحيل قيمةً اجتماعيةً وجماليةً، وهي المكمل الوجداني والترابط الموحي للكثير من الإرهاصات التي حفزت لديه هواجس النظم، وابتكر لنا عناوينَ يكون الحبُّ والإحساس الصادق نافذةً لها.

وهي مَن تحضر بعاطفتها وعطرها وجمالها داخل النص لتجعل الشاعرَ يتحدث في نصِّه عن مشاعره ورُؤاه ولحظة الغزل عنده في إنسانيتها وعذريتها:

لَا وَقْتَ عِنْدِي لِمَحْبُوبٍ أُدَلِّلُهُ
مَنْ لَا يُدَلِّلُنِي حُبًّا فَلَا كَانَا
مَا كَانَ هَمِّي نُجُومُ اللَّيْلِ أَنْظُرُهَا
وَلَا شُمُوسُ الْعَذَارَى حِينَ تَغْشَانَا
أَحِبَّتِي أَيُّهُمْ أَهْوَى: تُسَائِلُنِي
أُحِبُّ لَيْلَى وَبُثْنَا ثُمَّ مَيْلَانَا
لَكِنَّ حُبِّي الَّذِي أَهْوَى وَأَعْشَقُهُ
حُبِّي لِمَنْ بَادَلَتْنِي الْحُبَّ إِنْسَانَا

ومتى تدرسِ النص بروحه وفكرته وإنسانيته تشعرْ أنَّ الشاعر يرسمُ لك صورتَه فيما يعتقد ويسعى ويجاهد في إثبات أنَّ وفاءه لن يكون سوى لمن تشعر بإنسانيته ومشاعره وتسمع نبض قلبه جيدًا، وربما القصيدة هي نصح لشريرة سكنت خواطر الأزمنة، وتحوَّلت إلى درس زمني لذكريات الغزل الذي كان ربما من أول تلوينات بوادر الموهبة الشعرية لدى صاحب (قرابين الوداع).

وفي كل القصائد المقروءة بذات العاطفة وأنت تقرأ في السِّفر الناعم لمشاعر غزليَّاته وعناوين قصائده تجد أن لغة الغزل لديه لغةٌ سهلةٌ ومرئيَّة وشفَّافة، وتسودها جماليَّة الصورة، وبراءة المشاعر، فأتذكر أن رسم الصورة في جعلها تسبح في براءة الإحساس وغموض مصدرها هو من بعض لذائذ الغزل في الشعر، لهذا من يقرأ غزليات شاعرنا باشراحيل يرسم شكلًا روحيًّا وجماليًّا لشكل العلاقة بين الحب ومن يحمله وبين رقة الكلمات وهي توصل المعنى الذي كان الشاعر يُوثِّق فيه عاطفة البوح والروح ولغة التواصل والود بين الأحباب.

وهنا أضع أنموذجا كتبه الدكتور هشام محفوظ حول نص للشاعر عبدالله باشراحيل وهو قراءة قلق العاطفة في نص "اشتهاء":

((النص:

لعلـــك مثلـــي تشـــتهين وصـــالي

وتخشـــين أنـــكِّ مـــا خطـــرتِ ببـــالي

فهـــل مـــن ســـبيل تقتفـــين وأقتفـــي

فيـــدري كلانـــا عـــن شـــعور الصـــالي

يأتي نص الشاعر عبدالله باشراحيل "اشتهاء" ليكشف عن تجربة وجدانية تتسم بالتوتر العاطفي والتساؤلات الوجودية؛ حيث يتناول النص حالة من الرغبة المشوبة بالخوف، ومواجهة بين الحضور والغياب؛ بين الاشتهاء والخشية، وبين الرغبة في الوصال والخوف من النسيان!

النص يفتح أبوابه للقارئ بتركيب لغوي مكثف يعتمد على ثنائيات متضادة وأسئلة مفتوحة، مما يجعله نصًّا غنيًّا بالإيحاءات الدلالية، ومن خلال هذه الدراسة سنقوم بتفكيك بنية النص للكشف عن طبقاته المختلفة، بدءًا من تحليل عنوانه، مرورًا بثيماته الرئيسية وصولًا إلى القراءة التأويلية التي تتناول المسكوت عنه في طياته.

١- تحليل العنوان: "اشتهاء":

الدلالة الظاهرة: العنوان يوحي برغبة مشبوبة أو توق ملح إلى شيء ما.

الدلالة الضمنية: مفهوم "الاشتهاء" يتجاوز الحسي إلى الروحي، مما يفتح النص على احتمالات تأويلية عديدة، وفي ذلك ما يثري التكوين الدلالي العميق للنص والتلقي معًا.

الغياب: العنوان لا يحدد "المشتهى"، مما يترك القارئ أمام فضاء مفتوح للمعاني)).

تلك خاتمة جميلة لفصل البوح الذي أوقد الغزل فيه روح الكلمات والشاعر باشراحيل يوقد نبض قلبه شموعًا لعاطفة الكلمات، وبها ينادم أرواح من يحبهم في هذا العالم.

كان فصلًا كتبته عند تخوم بهجة اللغة التي حملها إلينا ديوانه (قرابين الوداع)، وقد شعرت أن غزليات الكتاب كانت سلال ورد لمشاعر الإنسان عندما تسكنه رغبة الذهاب إلى عمق ما فينا من لحظات تمتع ونحن نقرأ أو نسمع كلمات تؤثر في أرواحنا وتصنع لنا ذائقة الاستمتاع، فقد كان الشاعر يقول أشياء تدغدغ كوامن الروح وتجعلها تعيش اللحظة ممتعة وبليغة وهادئة حيث يكون وصال الشاعر مع الكلمة مثل الذي يشعر أنه عاشق وأن عليه أن يُشْعِر العالمَ بعشقه، فتكون القصيدة هي

رسالة البريد المقروءة بفهم وإيقاع ومعنًى عميقٍ وجميل وحساس.

الفصل الثامن

الشعر في أبوته فلسفة وعاطفة الروح

عند الفصل الثامن من رؤيتي عن (قرابين الوداع) للشاعر عبدالله محمد باشراحيل تجيء رؤيتي عن سلطة الأب الروحية في عالم الشاعر، وتأثير روح الأب في البدايات الأدبية لنمو الموهبة لدى الشاعر، فأسميت الفصل (قرابين الوَداع استعادةٌ أخرَى لوجه الأب)، فعندما شرعت في درس تأثير الأدب في درسه الروحي والثقافي والاجتماعي والبيتي الذي كان يتلوه على أبنائه شعرت من خلال ما كتبه الشاعر أن كل نصائح الأب وابتساماته ودروسه ومسيرته في الحياة موجودة بين طيات ثياب لحظة الإلهام في الكثير من قصائد (قرابين الوداع) حتى تشعر أن ظلَّ الأب وقود سحري للكثير من تلك الإرهاصات التي يعيشها الشاعر في ليل كتابة القصيدة ونهارها، فكان الأب الصورة الظل لهاجس الكثير من الموضوعات التي صاغ لنا فيها قلائد ممتعة

من عناوين الشجن والعاطفة والبحث عن ماهية الأشياء في محطات الحياة وأسفارها.

كتب الشاعر عن أبيه في القرابين وكأنه يكتب عن أول كهنة الحب في معابد قلبه وعن أول ضياء نور في حروف كتاباته، وعن أول رمز في مشاعر عاطفة الانتماء إلى الوطن والبيت والعالم المتسع، ويبدو أنه في ديوانه الأخير هذا صنع لنا شكلًا ضوئيًّا لمخيال وجه الأب، وكانت كل الإضاءات فيه هو ما تتوهجه الكلمات في البوح والرؤية وعاطفة الانتماء لديه، وكان في كل مرة يستعيد فيها وجه الأب يستعيد رؤيته وإدراكه والقيمة الإنسانية للفعل عندما يكون حافزًا وعاطفةً ورسالةً في الحياة يتلوها الشاعر ليقول لنا: إن الإنسان بدون أبوين لا يمكن له أن ينجح في تجاربه ويعيش حياته التي تعودها نشأة وتربية تعلمها من مدرسة أبيه ودروسه التي غلبت عليها حكمةُ الرجل المؤمن والمتعلم والفصيح، ويبدو أنها أول الموروثات التي أيقظت في الشاعر عبدالله باشراحيل مكامنَ الحكمة ويقظة الحس ومترادفات الإيمان بأن عليه أن يطور ما في ذاته من موهبة ومشاعر وقدرة على أن ينظم الشعر ويقرأ الكتب، وفي النهاية

سيعرف العالم أن الموهبة اكتملت بتجربة ينالها ثراء الكلمة والمعنى شعرًا ونثرًا وفكرًا.

وسط هذه الرؤى يصبح الأب الملهم عبر نتاج حياة طويلة وعميقة في تجاربها، يصبح إنتاج النص حصريًّا من المكان الممكن (البيت في عهود الطفولة والصبا والشباب) وهو المكان الأول في جعْل الخيالِ الطافح كائنًا على ورقة ينقل تعابير الإحساس بجمال وعمق تلك الأبوة المثقفة والحنونة؛ حيث تمنح الشاعر القدرة على امتلاك المشاعر والمشاهدة والبوح والمعنى، وبتلك الأشياء يبدأ الشاعر صنع كائناته وتسويقها لمن يدرك أنهم معه في الفهم وفكِّ مشفرة المشاعر والتضامن.

فمن دون آخر (الأب - الأم)، حيث لا يمكننا أن نصنع إحساسنا بجمال دون تلك الرموز التي كان تأثيرها بليغًا على تجربة عبدالله باشراحيل الشعرية، وفي كل حوارية أو كتاب تظهر متلازمة هذا التأثير لتشعر أنَّ تلك التجربة الشعرية العظيمة وراءها أب عظيم وأم عظيمة.

جهد الشعر في أبوته يحتاج إلى فضاء من الرُّؤى التي تحتفظ بمشاهد بعيدة، والبيت هو من أجمل أمكنتها، ودون أمكنة نرتديها قمصانًا لأصباح نستقبلها بقراءة مفترضة ومتخيلة لا نقدر أن نكمل يومنا إلى آخر نبدأ منه

ومعه من جديد؛ حيث تصبح الأمكنة (البيت والفضاء العام للمدينة) لحظة أرضية يدركها الشعر حين تفترض لحظة ما أن عليك أن تبتعد عن مساحة وجودك على الأرض ليأتي التخيُّل وهو ينقاد بما تحس أو ترى، وكلها بإسقاطاتها المتعددة تخلق هاجس الكلام وفكرته (غرفة، موسيقى، حب، محطات سفر، طائر في قفص، إثبات شخصية، بوح طافح بكل شيء، رؤيا متخيلة عن أشياء تسكننا في الأحلام نجوى لعاطفة نتأثر فيها بكتاب أو رواية، أو هاجس مغنى نتمنى نحن كتابته ويلحنه نبض قلبنا). كلها تستقر في مربع ضوئي في مرايا المخيلة لتطلق بعد ذلك فراشات الضوء إلى حديقة الورقة أو شاشة الحاسوب، ليكون التصاقًا بمن يوحي إلينا تلك القدرات، وتصبح نعمة الأبوة إلهامًا، وهو ما يظهر في التاج الكبير للشاعر عبدالله باشراحيل، وليبدأ مشوار أزمنته بين الذكورة والأنوثة، والغريب أنه يبدأ بحجم قطرة مطر؛ أي أصغر من دمعة، لينتهي بحجم جبال الهملايا، وربما أكثر! فإذا قدر للقصيدة أن تذهب من مكانها إلى درب التبانة فهو يكتبها لتصلَ إلى هناك، وحتمًا عاطفة الأبوة هي من بعض وقودها!

لهـذا تمتعنـا كتابـة باشـراحيل بـبعض مكنونـات تلـك الحاسة الرائقة في ثنائه ومديحه إلى ظل الوالد وذكراه أنه بعـض مقومـات النجـاح التـي أكسـبته علميـة فـي الحيـاة الإبداعية والطاقة الإلهامية في تجربته الشعرية والكتابية، فتهيأت له بفضل نشأته مقومات نجاح لم ينْسَ في أي يوم أن يمد لها أبياتا مغناة من عاطفة الروح إلى الأبوين، وكانت صورة الأب هي الظل الذي يلازم خطوته، فيناديه بقصيدة (أبي) وفي أخرى يجده الظل الذي يسير مع خطوتـه، وفـي الثالثـة هـو درس المحبـة والوفـاء والثقافـة الذي عليه أن يعلمه لأبنائه وأحفاده ليعرفوا جيدًا من هو الشيخ محمد صالح باشراحيل!

لهذا تصبح صورةُ الأب في الشعر كما هي صورته في القلب، فعاشت في التراث والإبداع الأدبي لدى الشاعر عبدالله باشراحيل هاجسًا عظيمًا من تعلم الدروس والعِبَر التي لازمت الكثير من نصوصه لتظهر لنا روحًا مؤمنةً ومحبةً حملت وفاءَ أزمنةٍ هي جزء من تواريخ مجيدة رافقت مسيرته الإبداعية منذ نعومة أظفاره وحتى اليوم لتمثل سيرة كتبها الشاعر بحروف من ذهب نقي لوجه أبرز له ضوء المحبة والإيثار من نوافذ الحياة بدءًا من طفولته وحتى آخر القرابين التي نسجت تفاصيل نذور

قلب الشاعر للذين أحبهم، وعاش معهم، وكتب من أجلهم كل تلك البحور المغمسة بموسيقى الشعر وصداه!

صورة الأب هي صورة القصيدة، لهذا يشعر من يقرأ أشعار الدكتور عبدالله باشراحيل أنه إن أراد أن يدرس تجربته الغنيَّة عليه أن ينتبهَ إلى المؤثر البيتي، ودَور الأب في تلك السيرة المعطرة بدهشة القوافي وينتبه إليها ويعطيها الاهتمام الذي يليق بها، وكأنني أستعيد معها رؤى ما شعرت به يوم ولجت في تفاصيل الفصل الثامن من الكتاب (قرابين الودَاع استعادةٌ أخرَى لوجه الأب) وكانت رؤاي عنه تقترب إلى الدهشة الملونة في فضاءات الشعر التي يكتبها باحتراف، ويحسها بعاطفتها الناعمة والمؤثرة شاعرها عبدالله محمد صالح باشراحيل.

الفصل التاسع
الشاعر عبدالله باشراحيل
في تاسع خواتيم القرابين

في الفصل التاسع وأنا أجد متعة الرؤية وقراءة عالَم الشاعر في جمالية القراءة والتلقي شعرت أنني يجب أن أتوسع في صناعة الحس الذي تمنحه لي القصائد في جمالية الصور وبلاغتها وتوهجها، فأسميته الشعر في إضاءاته الروحية والجمالية (ديوان قرابين الوداع) اللغة والرؤية والإيمان والفلسفة والرثاء.

وهذا الفصل هو الأقرب إلى روح الديوان في قراءته لسر عاطفة الشاعر، كتبته وقد تشبَّعت كثيرًا بإلهام (قرابين الوداع) وسكنت ذاكرتي موسيقى أجراس قصائد الديوان، وشعرت أن اللغة تبدأ عهدًا جديدًا من رؤى الكتابة عن تنوُّع تلك الإضاءات الروحية التي يسجلها الشاعر تفاصيل يومية لحياته، فتؤرخ عالمًا من أنوار الكلمات القريبة من الجفن والورقة ليكتبها كمن يكتب عهده مع

الحياة أن يكون وفيًّا لها ووفيًّا لكل الارتباطات التي تهمه وطنًا وبيتًا وعالمًا فسيحًا ينتج لنا فيه هذا الثراء المضيء، ليس في الديوان فقط؛ بل في علاقاته العامة ثقافةً ومجتمعًا، فكانت القراءةُ هي استيعابًا لما تعنيه تلك العناوين، وعليك أن تتعامل مع إيقاعها الصوتي والمعنوي والقيمة الجمالية لكل هاجس في القصيدة، وعليك أن تربط العنوان بما سعى إليه النص، وبالتالي ستكتشف أن باشراحيل يكتب لمتعة القارئ روحًا وجمالًا، وأنه يؤدي رسالته الإنسانية عبر إنتاج ما وهبت له الحياة من استطاعت وقدرة على البوح والنظم والكتابة بوعي العالم والشاعر والإنسان.

هذا الإنسان نجح ليبني له تراثًا حسيًّا وفكريًّا رائعًا من لغة يتحدث فيها القلب قبل اللسان، وهذه اللغة بمجازها وبلاغتها وصورها وموسيقاها ومعانيها وقوافيها وفلسفتها ووطنيتها تمثل نمطًا ثقافيًّا لشخصية الشاعر عبدالله باشراحيل، ثقافة الوعي والمنجز والتميز والحضور، فهو يكتب ليدرك أن الشعر هو التفاعل الأزلي مع العالم واكتشاف لأسراره، فمنذ آدم وحواء أصبح التعبير عن المشاركة والتفاهم والود لا بد أن يتم من خلال تخاطب به إحساس ودفء وموسيقى ومشاعر جميلة، وربما بدأت

القصيدة بهذا المناخ، واستمرت لترينا قوة عاطفتها وجدية رسالتها.

هذه الجدية واكتشاف جوهر الرسالة هو ما نشعر به في البحث عن الإضاءة ومعانيها في قصائد (قرابين الوداع) والتي تظهر لنا مناخات تتعدد من أشكال هندية لعاطفة البيت الشعري ومعانيه، وخصوصًا ما أشرنا إليه في (اللغة والرؤية والإيمان والفلسفة والرثاء).

في اللغة نشعر أننا نكتب لكي نكون هكذا علمنا هاجس الرغبة لتدوين خاطرة أو قصيدة أو حتى معادلة رياضية، فهي تكاد أن تكون السبيل الوحيد لاكتشاف أو معرفة معنى، بل هي تطور كل حالات التأمل التي تشملنا ونحن نقاد إلى حالة من مودة الكشف لظاهرة كونية أو اجتماعية ما.

هذا ما أشعره في فهم شاعرنا باشراحيل لرسالته الشعرية التي مثلت لديه تاريخًا شخصيًّا وأسريًّا ووطنيًّا رائعًا استطاع من خلاله أن يمنحنا تراثًا شعريًّا ولغويًّا جميلًا.

يقول الشاعر الألماني (ريلكه): أكتب لشعور برغبة يصنعها الألم.

فيما الشاعر الفرنسي (ميشيل ديغي) يقول: السعادة هاجس أول لكل كتابة.

(بورخيس ابن بوينس إيرس) يحدد الأمر جيدًا: الحكايات، قصصًا كانت أم روايات، هو الصفر الأبدي الذي يمتلك القيمة الكبرى في مزاد الكلام، والشعر بينهما قيمة روحية ولغوية عليا.

بين التفكيرين تتنوع رؤى التأليف وتذهب إلى تجنيس لينتهي من الأحاسيس. سعادة وحزن واختراع ومواثيق بيع وشراء ومجادلة ونص قانوني.

كل شيء يقع تحت ظروف التعامل والتحول يحتاج إلى تدوين لهذا يقول العلماء: إن الحرف أخذ بالحياة الأرضية ألف سنة ضوئية إلى الأمام.

كانت الكتب السماوية تقود المرئي إلى الرائي، وتضعه أمام الأعين والأسماع على شكل حكاية تروى على لسان الغيب الملائكي أو الإلهي.

الأصفار تتلاشى مع صوت الله، هناك واحد ينبغي أن نبدأ معه وأن نعطيه الذهن والجسد ولذة السماع، ومن ثم نخشع لهيبته الكتابية لأنه يقول شيئًا عظيمًا.

مواعظ، حكم، تذكير، رسم يقع في تصور الخلق الحقيقي، ويهدم كل نظريات الملحدين الذين كانوا

يعتقدون بأزلية الكون، وأنه غير محرك بالقدرة الإلهية، غير أن نظرية أينشتاين دحرت كل هذه التصورات، وأقامت عهدًا علميًّا جديدًا للتفكير حتى على مستوى التنظيرات الفلسفية الكتابية متعديةً ذلك خصائصها الفيزيائية والرياضية إضافةً إلى نظرية الانفجار العظيم التي أوجدت مع النسبية قناعة العالم في المنشأ الروحي والمادي للكون ليقول لنا العالم الإنجليزي ليبسون (الانفجار العظيم شيء محرج للملحدين؛ لأن العالم أثبت فكرة دافعت عنها الكتب الدينية، الفكرة أن للكون بدايةً).

هذه اللغة الجميلة هي من يثير بها باشراحيل هاجس الموهبة، ويحولها إلى إضاءات من روحانية ما يشعره، فيقيم مع الشعر امتدادات ذهنية ورومانسية وجمالية يوقظ فيها الكامن في حواس قارئه، فهو يكتب ليُدِمْ وصلًا خفيًّا مع العالم الذي عليه أن يتعامل معه بإيماءات ورؤى ومدركات يستيقظ فيها هذا الكامل المتحول إلى شيء من لغة الموسيقى الذي يدرك فيه الشاعر أن الشيء الشعر، والشعر روح، والروح هي أزليتنا.

ففي نص كهذا للشاعر عبدالله باشراحيل يقول فيه:

هذه الدنيا تَعَرتْ

ثُم قالتْ:

هَيْتَ لَكْ

كُلُّ من يَنْظُرُها

يَعْشَقُها

ثُمَ تُغرِيهِ

وَتُلقيهِ لدوراتِ الفَلَكْ

هـذا الـنص يمتلـك بوحًـا روحانيًـا جمـيلًا يضـع فيـه الشاعر كمًّا هائلًا من الإحساس المغطى بنور الكلمات التي تظهر لنا صورا شعرية رائعة استطاع فيها الشاعر أن يرسـم لنـا مشـهدًا عاطفيًـا وجوديًـا مشـفرته تلـك العلاقـة المادية والروحية بين الإنسان وبيئته بكل إحاطاتها، فهو هنا يتحاور من الذات الأخرى التي يشعر أنها موجودة في كل مكان تقع عليه عيناه في فسحة الأفق الممتدة أمامه أضـوية وتكوينـات ومحطـات للـذكريات والأحـلام والطموحات وأشياء كثيرة.

يشـتغل التـدوين الشـعري عنـد باشـراحيل ضـمن تلـك الإيقاعات التي تأتي من عالم قريب وبعيد، ويمازجهما بحرفة شاعر ليكتشف معهما أنه يستطيع أن يضعنا عند بوابات معابد القصيدة التي جعلها من بعض مسلمات إيمانه بالحياة وبمنجزاتها ودوره فيها، لهذا كانت حتى في

رثاءاته لمن يفقدهم ويغيبون عنه في البعيد السماوي، يحاول أن يجعل من دموع حزن قصائده أشرعة تدفع بمراكب التمني للوصول إليهم كي يسمعهم صدى آهات القلب في مراثي الوجع تلك.

يكتب عبدالله باشراحيل في (قرابين الوداع) كل يقظة تلك الهواجس في دفء روحانيتها وأفراحها وأحزانها، ويسقط عليها فعل موهبة وتفكير فلسفي استمده من معارف وقراءات وتجارب كثيرة، حتى إنك عندما تقرأ في (قرابين الوداع) تشعر كما نوَّهت إليه مرةً في واحدة من رؤاي عن الشاعر: أنه يكتب لأجل هذا يظل الشعر يسعى لتبرير خلق الوجود بهذه الفنتازية المتعدِّدة الصور والسابحة في أنواء فضاء نتعلَّق به كبندول، ولا يشدنا إلى نقطة الثبات سوى قانون الجذب، وهو (أي الشعر) صانع ماهر لما تريد أن تنتجه دواخلنا المكوَّنة أصلًا من مجموعة أحاسيس قابعة في زاويةٍ ما، وتنتظر هذه الوثوب إلى الضوء حيث ينتظرها عنوان عريض لمشاهدة قول يطلق عليها اصطلاحًا (القصيدة).

يشغل الشعر مساحة الذهن دون وجود كُتْلَوي، أما هو فمجرد رؤية لتخيُّل مشهد أو وقيعة أو ردة فعل إزاء ما نتعرَّض له، وهذه الأشغال لا توجد عند الجميع، لكن

حافز التملُّك متوارَث بقَدرية طبيعية تنمو مع الموهبة والمثاقفة، وهناك ما يدعوه أرسطو (المُحفز القادم من العلا) وما يعتقده محيي الدين ابن العربي أنه (المؤثر الساطع، وجوده فن، وصناعته جنون، وفي النهاية نحن له بسجود لأنه مصنوع وليس مطبوعًا، ومن صنعه الذي أوجد فينا هذه اليقظة) وحتمًا هو يقصد باليقظة القدرة الإلهية كما يقصد ذلك الفيلسوف أرسطو.

كانت رؤيتي لهذا الفصل مختزلة بكمية مشعة من أحاسيس قراءة الشعر وشاعره، وكنت في كل قراءاتي له أكتشف أنه عندما يعيش لحظة القصيدة لا يرتدي سوى جمالية لحظة كتابتها والانتهاء منها حتى عندما تكون رثاء وصناعة لدمعة الكلمة في مشاعر أشواق غياب الآخر الذي فارقه، أو عندما تسكنه ملهمات التنظير ورؤى الفلسفة في تفسير حياتنا وفق نظام العدل والحب والسلام.

تسعة فصول من ذاكرة الوعي المؤطر بتفاصيل بهجة التجربة الممتعة التي سطر فيها الشاعر عبدالله باشراحيل تواريخ حسية لموهبته وأدائها الروحي والإنساني والجمالي، وكان في كل قصائد (قرابين الوداع) يضع سرًّا

لوردته ومودته ليشعر أن الشاعر سادن معابد إحساس القصائد وهي تأتي إلينا بمفردات الضوء والمعنى والفكر.

تلك المقدرات هي من وهبت الشاعر القدرة والخيال والابتكار والإلهام واللغة والوعي، وبكل تلك المهمات ندرك أننا قرأنا تجربة جميلة لشاعر أحب أن أقرأه دائمًا وأتابع نتاجه.

هو من فرسان بهجة الشعر ومؤسسي لحظته الكونية، وتجربته أعتبرها أنا تجربة جيدة وعميقة وتستحق أن ينظر إليها دائمًا.

السيرة الذاتية للكاتب

الكاتب/ نعيم عبد مهلهل

مواليد العراق

- القائمة الطويلة لجائزة كتارا للرواية عن روايته صفحة الحلاج في الفيس بوك/ ٢٠٢٣.

- جائزة الرواية في تونس - عن روايته جنود حروب كوكب الشرق/ ٢٠٢١.

- جائزة الطيب صالح العالمية للكتابة الأدبية/ الجائزة الأولى/ فرع الرواية/ أوروك هايكو الغرام/ عام ٢٠٢١.

- القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب/ فرع الآداب/ عن روايته توراة المتنبي/ ٢٠٢٠.

- جائزة محمد جنداري للقصة القصيرة/ الجائزة الأولى/ نينوى ٢٠١٨.

- جائزة نعمان الساعاتي لأدب الرحلات ٢٠١٣ عن كتابه رحلة الفتى جلجامش إلى طنجة.

- جائزة محمد الحمراني للرواية ٢٠١١. عن روايته حريم مدن السلطان.

- حائز على جائزة القصة القصيرة في مسابقة اتحاد كتاب العرب/ دمشق عن قصته (تفاحة دلمون) عام ٢٠٠٧.

- حاز على الجائزة الثانية في مجال الرواية عن روايته (جنكيز خان) في مسابقة مجلة دبي الإبداعية الكبرى/ دار الصدى للصحافة والأعلام دبي: ٢٠٠٧.

- حائز على جائزة العنقاء الذهبية في المجال القصصي عام ٢٠٠٧ التي يقدمها بيت القصة.

- حائز على جائزة الدولة في الرواية ٢٠٠٣.

- حائز على الجائزة الأولى في القصة بمسابقة الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق عن قصة (كاهنة ديوان الوزارة) ١٩٩٥.

- حائز على الجائزة الأولى في القصة لمسابقة اتحاد أدباء وكتاب ذي قار عام ١٩٩٤ عن قصته (دموع حمزاتوف).

- حائز على جائزة القصة/ المرتبة الأولى في مسابقة مجلة المرأة عام ١٩٩٠ عن قصة (فتاة الاستعلامات).

- يكتب القصة والنقد الأدبي والشعر والمقالة السياسية ومهتم بالديانات العراقية القديمة والميثولوجيا السومرية وبيئة مناطق الأهوار.

يكتب عمودا يوميا في عدة صحف عراقية.

مدير تحرير مجلة الأهوار الصادرة عن وزارة الموارد المائية.

يعيش في مدينة فوبرتال الألمانية.

المحتويات

المقدمة: متعة الحديث عن شاعر من أهل كندة ٥

الفصل الأول: باشراحيل وآخر منجزات الشاعر ١٣

الفصل الثاني: (الشاعر يقدم نفسه بمرايا القصيدة).....٢١

الفصل الثالث: إنسانية ما يكتبه الشاعر ٣٥

الفصل الرابع: الشعر وعطره.....٤٧

الفصل الخامس: رسائل الشعر في قلب الشاعر ٦١

الفصل السادس: الحكمة في قرابين الوداع ٦٧

الفصل السابع: وردة الشعر وحدائق روح باشراحيل ٧٣

الفصل الثامن: الشعر في أبوته فلسفة وعاطفة الروح ٧٩

الفصل التاسع: الشاعر عبدالله باشراحيل في تاسع خواتيم القرابين
.....٨٥

السيرة الذاتية للكاتب.....٩٥

المحتويات.....٩٩